# أثر السياق في تغاير دلالة الكلمة

دكتورة / منى عبد الله علي فراج
المدرس بقسم البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بنى سويف

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مقدمة**

الحمد لله الذى أنزل القران هدى للعالمين قال تعالى :" **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**"(البقرة٢)، وهذه الهداية لا تتأتى لمريدها إلا عند تدبره وطلب تفسيره ،ولذلك ربط الله التنزيل بالتدبر فقال تعالى :"**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**"(ص٢٩)، ووبخ الذين يعرضون عن تدبر آيات القرآن الكريم قال تعالى:"**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**"(محمد ٢٤)

ولقد كان القرآن الكريم ولا يزال منذ أن نزل به الروح الأمين ، على قلب سيد المرسلين ،بلسان عربى مبين ،محل عناية علماء هذه الأمة ،فقد بذلوا الجهد تلو الجهد فى تدبر ألفاظه ،واستخراج معانيه، وتلمس مقاصده.

(فأصل الوقوف على معانى القرآن هو التدبر والتفكر )[1] ، ولا شىء أنفع للعبد فى معاشه من تدبر القرآن ، وحقيقة التدبر هى إمعان النظر والتفكير فى سياق الآية والربط بين كلمانها للوصول إلى معرفة المراد منها ، فإن لكل كلمة فى القرآن الكريم معنى فى ضوء سياقها قد لا يصح هذا المعنى لسياق آخر .

ودلالة السياق هى واحدة من أهم دلالات فهم النص القرآنى ،وهى عبارة عن نتيجة دراسة النص الذى هو متتابع منسجم فى تعبيره عن معناه باعتبار السابق واللاحق ، ولا ريب فى أن تتبع الكلمة فى أساليب القرآن الكريم ،أو النصوص الأدبية والوقوف

(1) ينظر البرهان فى علوم الفرآن للزركشى للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج٢ص ١٨٠ مكتبة دار التراث الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٤م

على استعمالاتها ،وتأمل السياق والنظم الذى نسجت فيه ،مما يكشف عن كثير من الأسرار والمزايا ،ويجلى كثيرا من جوانب الإعجاز لكتاب الله العزيز .

إن مفردات العربية واسعة الدلالة، ،فلابد إذا من وجود أمر زائد على معرفة "دلالات الألفاظ "؛ لإدراك المعنى المراد، ألا وهو "دلالة السياق "، فالسياق يحدد الدلالة المطلوبة من دلالات المفردة ، فبالنظر إلى اتساق الكلام وتتابع الجمل تقتنص الدلالة من المفردة فى سياقها .

ونظرية السياق هى نظرية عربية قديمة ،فقد اعتنى بها علماء العرب القدامى فالمفسرون اعتنوا بدلالة السياق أيما غناية، فلا زلنا نقرأ فى كلامهم هذا يؤيده السياق أو يرده ،أو يدل عليه أو لا يدل ،أو يعضده أو لا يعضده إلى غير ذلك من العبارات التى ملئت بها كتب التفسر مما يدل على أن علماءنا ومفسرينا كانوا يعتبرون دلالة السياق وأنها عندهم أداة مهمة من أدوات فهم النص القرآنى.

وكذلك كان للسياق القول الفصل فى الوقوف على جوهر النصوص الأدبية ،ولا سيما فى الشعر العربى القديم ؛لأن اللغة التى نظم بها لم تعد هى اللغة المعاصرة المفهومة ،فكان على الباحث الحصيف الذى يوم الوقوف على الدلالات المستلزمة أن يعتمد اعتمادا كبيرا على القرائن السياقية التى يضعها الكاتب لتحديد المعانى والأغراض المرجوة .

ومن هنا انبثق موضوع هذا البحث الذى عنونت له بـــ ( أثر السياق فى تغاير دلالة الكلمة ).

وقد جاء هذا البحث فى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة ،وثبت بأهم المصادر والمراجع .

أما المقدمة : وفيها بيان بأهمية الموضوع وسبب اختياره .

التمهيد فيشتمل على : ا- تعريف السياق لغة واصطلاحا .

ب: تأصيل نظرية السياق فى التراث العربى ويشمل :- نظرية السياق عند اللغويين ، وعند الأصوليين ، ثم عند البلاغيين .وأخيرا عند اللغويين المحدثين.

ج – أنواع السياق بإيجاز

د – أهمية دلالة السياق واعتبار النبى صلى الله عليه وسلم لها ، واعتبار الصحابة – رضى الله عنهم – لها.

أما المبحث الأول :- فهو بعنوان : اللفظ الواحد يقع مقبولا فى موضع ومكروها فى آخر ودور السياق فى ذلك.

والمبحث الثانى بعنوان :- تغاير دلالة الكلمة الواحدة لتغاير دلالة السياق ويشتمل على :- أثر السياق فى المشترك اللفظى (الكلمة )ثم أثر السياق فى الصيغة

المبحث الثالث -: أثر السياق فى اللفظ الذى يحتمل المعنى وضده و ـــ:- أثر السياق فى الترادف .

المبحث الرابع بعنوان :- أثر السياق فى دلالة الحرف .

ثم الخاتمة والفهارس ، الخاتمة وتشمل أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال البحث أما الفهارس فتشمل فهرس المصادر والمراجع.

وفى الختام أتوجه إلى الله الكريم المنان ، بديع السموات والأرض ، بعملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، والذى أرجو أن يزين لى به صحيفتي يوم الدين ، فأحتسب أجرى عنده ،فتوفيقي منه سبحانه وتعالى ،وقبوله لى منة وفضل من كرمه،فهو وحده الكريم ، والهادي إلى الصراط المستقيم .

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه وذريته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

**د/ منى عبد الله على فراج**

## التمهيد

**١ :- تعريف السياق : -**

السياق لغة "السوق من ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا ،وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهى متقاودة ومتساوقة ) [١]

وقال الزمخشرى:(ومن المجاز :هو يسوق الحديث أحسن سياق ،وإليك سياق الحديث ،وهذا الكلام مساقه إلى كذا ،وجئتك بالحديث على سوقه أى على سرده) [٢]

ويقصد بالسرد التوالي والتتابع كما فى قولك: (سرد الحديث والقراءة جاء بهما على ولاء)[٣]

وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن الكريم باستعمالات متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى "**.وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا.**"(سورة مريم ٨٦) وقوله تعالى"**فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ..**(فاطر ٩) وغير ذلك كثير فى القرآن الكريم .

وبهذا يتبين لنا أن هذه المادة تدور حول معنى التتابع ،والاتصال، وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ذلك ،فسوق الإبل وتساوقها من التتابع ،والتتابع اتصال لا انقطاع فيه.

أما تعريف السياق فى الاصطلاح :فقد جاء فى المعجم الوسيط :(سياق الكلام أى تتابعه وأسلوبه الذى يجرى عليه ).[٤]

وعرفه العطار فى حاشيته على جمع الجوامع قائلا:(السياق ما سيق الكلام لأجله ) [٥]

ويقول أيضا فى موضع آخر : (وقرينة السياق هى ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه )[٦]

---

(١)لسان العرب لابن منظور مادة سوق طبعة دار المعارف.

(٢)أساس البلاغة للزمخشرى ت محمد باسل عيون السود ج١ ص ٤٨٤. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٩٨م

(٣)المصدر السابق ج١ ص ٤٤٩.

(٤)المعجم الوسيط مادة سوق ص ٤٦٠

(٥)حاشية العطار على جمع الجوامع للعلامة الشيخ حسن العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع للإمام ابن السبكى ج١ ص ٣٢٠ دار الكتب العلمية بيروت (بدون)

(٦)المصدر السابق ج١ ص ٣٠

وعرفه السلجماسى بقوله : ( هو ربط القول بغرض مقصود على الأول )[١] ، وقد جاء ذلك عندما ذكر الإيجاز بالحذف المسمى بالاكتفاء [٢]

وعرفه الطحاوى فى معاني الآثار بقوله:(السياق هو الأمر الذي يمكن أن يؤثر فى معنى خطاب معين مما له علاقة بالخطاب ذاته.) [٣]

والسياق هو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أوالعبارة أوالجملة وتستمد أيضا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف ،وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره ، من متكلم ومستمع وغير ذلك، من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام)[٤]

السياق الذى نعنى به هو ذلك السياق الداخلى الذى يعنى بالنظم للكلمة ،وموقعها من ذلك النظم، أخذا بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها فى الجملة ،وقد تتسع الدائرة إذا دعت الحاجة ،فيشمل الجمل السابقة، واللاحقة بل والقطعة كلها .

أو هو الغرض الذي ورد الكلام، لأجله ،وأن له أثر بالغ فى تعيين المراد من اللفظ ، فقد يرد اللفظ الواحد فى أكثر من موضع وله فى كل موضع معنى يختلف عن المعنى الآخر ،والذى يعين على معرفة معانيه المختلفة فى تلك المواضع هو سياق الكلام أو الكلام السابق والكلام اللاحق ، كما يتضح ذلك من خلال البحث –إن شاء الله –

إذن فالسياق هو الظروف والمواقف والأحداث التى ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا :الحال والمقام .

**٢: – تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي.**

يعتبر السياق عند العلماء أساسا فى فهم الكلام ،وأصلا يحتكم إليه وبخاصة فى كلام الله تعالى،لذلك اهتم العلماء بنظرية السياق منذ وقت مبكر لما له من أثر فى الكشف عن

---

(١)ينظر المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع للسلجماسى تحقيق الغازى ص ١٨٨ مكتبة دار المعارف الرباط ط١ سنة ١١٩٨٠م

(٢)الاكتفاء هو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه ينظر العمدة فى محاسن الشعر و آدابه ابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ١ ص ١٥١طبعة دار الجيل ط٥سنة ١٩٨١م

(٣)ينظر معانى الأثار لابى جعفر الطحاوى ج١ ص ٤٩ دار الكتب العلمية بيروت .

(٤)ينظر :علم الدلالة النظرية والتطبيق فوزى عيسى ،ورنيا فوزى عيسى ،ص ١١١ دار المعرفى الجامعية ،الاسكندرية ط١ سنة ٢٠٠٨م .

المراد، وفهم النصوص واستنباط الأحكام ،وقد تضافرت وتواترت أقوال العلماء فى تأكيد ذلك وتقريره.

ونظرا لأهميّة السياق في إجلاء معنى الكلمة المفردة داخل جملتها ، ونظراً لأن عملية الكشف عن المعنى من الاهتمامات الأساسية للمفسرين والأصوليين والبلاغيين واللغويين، لكونه يساعدهم في استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية من القرآن الكريم، ولذلك أشار الجميع إلى السياق فى مؤلفاتهم وسوف أذكر بإيجاز السياق عند اللغويين ،ثم عند الأصوليين ،.وأخيرا عند البلاغيين بشيء من التفصيل

**أ- السياق عند اللغويين :**

لقد شاع عند اللغويين استعمال لفظ قرينة السياق عند ذكر دليل الحذف الجائز فى الأبواب النحوية ، كما ورد أيضا لفظ السياق بمعناه اللغوى فى توصيف بعض الأساليب نحو قولهم: :لنكرة فى سياق النفى تعم، كما اهتموا بتركيب الألفاظ بعضها ببعض. اهتماما كبيرا ، كما تطرق سيبويه" ت١٨٠هـ" في"الكتاب" إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام بعنوان (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة).[١]

وقد أولى سيبويه كلا من "السياق اللغوى" و"سياق الحال " اهتماما كبيرا لما له من أثر فى مبانى التراكيب ، من حيث الذكر والحذف، أو التقديم والتأخير ، ويتضح ذلك من استعانته بالسياق اللغوى بكثرة فى تقديم المفعول وتأخير الفاعل فيقول عن قولك :"ضرب عبدالله زيدا: (فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جري فى الأول ،وذلك قولك ضرب زيدا عبد الله ؛لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ،ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا فى اللفظ ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما ،وهو عربى جيد كثير ،كأنهم أنما يقدمون الذى ببيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ) [٢]

فسيبويه هنا قد اعتمد فى هذا النص على دور العلامة الإعرابية فى بيانها للفاعل والمفعول حتى مع التقديم والتأخير فقد لاحظ أن المعنى النحوى ل ــ"زيد"و"عبد الله" غير مختلف فى كلتا الجملتين ،وهذا يتضح من قوله " جرى اللفظ كما جري فى

---

(١) ينظر الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ج١ ص ٢٥ مكتبة الخانجى بالقاهرة ط٣ سنة١٩٨٨م.

٢ينظر الكتاب ج١ ص٣٤

الأول"،أى رفعت الفاعل "عبد الله" مع التأخير ،ونصبت المفعول"زيدا" مع التقديم ،وهذه العلامة الإعرابية من عناصر السياق اللغوى الدالة على الفاعل والمفعول فى مثل هذه الجمل التى خالفت الرتبة الأصلية .

و إذا كانت الدلالة المعجمية للألفاظ متعددة، فإن اللغويين أشاروا إلى أن ذلك التعدد لا يكون إلا خارج السياق، أما في السياق فإن الدلالة واحدة .

قال أبو بكر الأنباري "ت٣٢٨هـ": إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه،واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحدا.)[١] أي لا يُعرف معنى الخطاب إلا باستيفاء السياق واستكمال النظر فيه كله .

فمما سبق نستنبط مدى اهتمام اللغويين العرب بالسياق، ومن بينهم "أبو بكر الأنباري"الذي شدد على أهمية السياق في الكشف عن المعنى المقصود للكلمة أو الحرف داخل الجملة؛ لأن بواسطته يتم اقتناص المعنى المراد.

**ب – السياق عند الأصوليين**

لما كان الأصوليون من أشد علماء الشريعة حرصا على الوصول إلى الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، فقد اهتموا بالسياق اهتماما بالغا، لكونه وسيلة للكشف عن المعنى المراد ويمكن القول بأن" الإمام الشافعي"(ت٢٠٤هـ) هو أول من تحدث عن السياق وأثره فى فهم الكلام فقد أشار إلى أحد نوعي السياق وهو سياق النص وإن لم يسمه بالمصطلح المعروف في عصرنا الحالى حين يقول: ( وتبتدئ – أي العرب– الشيء من كلامها يبين أو للفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله)[٢]

وقد عقد له بابا فى رسالته وسماه "باب الصنف الذى يبين سياقه معناه "(٣) وبرغم من أنه لم يعرفه إلا أنه ساق أمثلة من القرآن الكريم جرى فيها تحديد معنى بعض

---

(١) ينظر الأضداد ابو بكر الأنبارى تحقيق امحمد أبو الفضل إبراهيم ص

(٢)الرسالة للإمام الشافعى تحقيق أحمد محمد شاكر ص ٥٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأولى ١٩٣٨ م .

(٣) المصدر السابق ص ٦٢ .

الألفاظ التى لها أكثر من معنى بالسياق، مشيرا بذلك إلى أن السياق يمكن أن يستعمل لتحديد المراد بالمشترك من الألفاظ القرآنية وهو بذلك ينص على السياق بلفظه لا بمعناه ومن الأمثلة التى ذكرها قوله تعالى :" **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**"(الأعراف١٦٣)ثم قال : (فابتدأ جل ثناؤه الآية بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر ،فلما قال :" إذ يعدون فى السبت"دل على أنه إنما أراد أهل القرية ؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان فى السبت ولا فى غيره ،وإنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون ) وواضح من استدلاله بما بعد لفظ القرية أنه يعنى سياق النص .

* – أما الغزالي(ت ٥٠٥) فيعرف أصول الفقه أو ما يعرف بالمتضايفين بقوله: (عبارة عن أدلة هذه الأحكام، وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل)[١]

* – أما ابن القيم الجوزيه (ت٧٥١) فهو يرشد إلى أهمية السياق فى بيان المجمل وتخصيص العام وتقييد المطلق قائلا:( السياق يرشد إلى تبين المجمل ،وتعيين المحتمل،والقطع بعدم احتمال غير المراد ،وتخصيص العام ،وتقييد المطلق ،وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ،فمن أهمله غلط فى نظره ،وغالط فى مناظرته ،فالنظر إلى قوله تعالى :" **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**"(الدخان ٤٩)،كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير .)[٢]

*– أما الإمام الزركشى(ت ٧٩٤) فقد تناول دلالة السياق وموقف العلماء منها مؤكدا على أهميتها كطريق للتوصل إلى فهم معانى النصوص الشرعية قائلا : ( دلالة السياق أنكرها بعضهم ومن جهل شيئا أنكره ،ثم نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتاب "الإمام":السياق يرشد إلى تبين المجملات ،وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال ،فكل صفة وقعت فى سياق المدح كانت مدحا

(١)ينظر المستصفى في علم الأصول، للإمام الغزالى ج ١ ص ٥ دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣سنة ١٩٨٢م.

(٥)ينظر بدائع الفوائد ابن القيم الجوزيه تحقيق على بن محمد العمران ج ٤ ص ١٣١٤ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (بدون)

،وإن كانت ذما بالوضع ،وكل صفة وقعت فى سياق الذم كانت ذما وإن كانت مدحا بالوضع كقوله تعالى :" **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**"(الدخان ٤٩" ).[١]

ويقول أيضا فى البرهان في ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين ( :وطريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق)[٢]

*- أما صاحب تفسير المنار فقد وضح أن السياق أفضل قرينة تدل على معنى اللفظ فقال: (وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته )[٣]

**ج- السياق عند البلاغيين**

عرف البلاغيون العرب السياق ،فكانوا من السباقين لاستخداماته ،وما استعمالهم للمقولة المشهورة "لكل مقام مقال "إلا دليل على ذلك، وكذلك استخدامهم لمصطلحي الحال والمقام للدلالة على ما نسميه سياق الموقف ، أى على القرائن الخارجية المتعلقة بالمتكلم أو المخاطب ، وفقد نقل الجاحظ(ت ٢٥٥) عن بشر بن المعتمر قال:(ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات،فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ،ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقدر أقدار الكلام على أقدار المعاني ،ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ،وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)[٤]

فقد انتبه الجاحظ إلى أهمية السياق ،وعناصره، ومقوماته التى أوصلها إلى خمسة عناصر هى :اللفظ،والإشارة ،والعقد ،والخط ، والحال التى تسمى نصبة ،وبذلك يحيط الجاحظ علما بالسياق ويسبق المحدثين فى جعل السياق معتمدا على اللفظ والإشارة والصوت والحال ،وهو ما عرف بالسياق اللغوى وغير اللغوى ) [٥]

---

(١) البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى تحقيق د عبد الستار أبو غدة والشيخ عبد القادر عبدالله العانى ج٦ ص ٥٢ .دار الصفة للطباعة والنشر والتوزيع (بدون)

(٢) ينظر البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٢

(٣)تفسير القرآن الحكيم الشهير باسم تفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده تحقيق السيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٢ طبعة دار المنار بالقاهرة ط ٢ ١٩٤٧م

(٤) ينظر البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ج١ ص ١٣٨، ١٣٩

(٥)ينظر اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين د/ نادية رمضان النجار ص ٢٠٥

أما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥) فقد أشار إلى أهمية السياق فى التحديد الدلالي فيما أشار إليه من جملة محددات حيث يقول : ( وأول ما يعرف به الفرق بين هذه المعاني وأشباهها أشياء كثيرة منها اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنيهما) [١]، وفى موضع آخر يوضح أبو هلال العسكري أن اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعانى وأن السياق هو الوسيلة التي تفرق بين قصدية معنى فى مقام عن معنى آخر ،فالمعاني تناسب ما تشير إليه فيقول:( الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني :أن الاسم كلمة تدل على معنى الإشارة ،وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة عرف ) [٢] فالقيمة الوظيفية للكلمة تتضح من خلال سياقها التى قيلت فيه،ومقامها التى تدل عليه.

أما الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوى والتركيب الذى قيلت فيه ،يقول : (وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذى هى فيه،ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ،ومعلقا معناها بمعنى ما يليها ،فإذا قلنا فى لفظة "اشتعل" من قوله تعالى: " **إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا "**( مريم ٤)،إنها فى أعلى مرتبة من الفصاحة ،لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ،ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف ومقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا ) [٣]

ويقول فى موضع آخر:( فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ولا من حيث هى كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملائمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ )[٤] .

وكذلك الخطيب القزوينى(ت٧٣٩) الذي عرف علم المعاني بأنه : (هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا

---

(١) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى تحقيق محمد إبراهيم سليم ص ٢٥ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع (بدون)

(٢)المصدر السابق ص ٢٢

(٣) ينظر دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود محمد شاكر ص ٣٦٤مطبعة مدنى بالقاهرة ط٣ سنة ١٩٩٢م.

(٤)المصدر السابق ص ٩٢

من السياق ،وما يحيط به من القرائن ،أو هو علم يبحث فى الجملة بحيث تأتى معبرة عن المعنى المقصود) [١]وعرف بلاغة الكلام بأنها (مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته )[٢].

وكما اهتم البلاغيون فى دراستهم للسياق بأحوال المتكلم والمستمع ،اهتموا كذلك بفكرة مقتضى الحال، والعلاقة بين المقام والمقال، كما أخذ البلاغيون حركات الشخوص وإيماءاتهم وإشاراتهم باعتبارها عنصرا من عناصر المقام كما فعل السياقيون ،غير أن هؤلاء كانت عندهم عنصرا من العناصر التي تساعد على وضوح الدلالة التامة وإبرازها بينما هي عند البلاغيين من العناصر التي تساعد علي توصيل الدلالة إلى السامع والإفصاح عنها.

أما الدكتور أبو موسى فقد تحدث عن أهمية السياق فيقول : (إن التركيب تختبيء فى خصائصه وأحواله إشارات ودلالات مختلفة وأن السياق هو الذى يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته وكأن التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس تعطى ألوانا متكاثرة كلما أدرتها إدارة جديدة ،والسياق هو القوة التى تحرك هذه القطعة لتشيع من ألوانه ما يراد إشعاعه )[٣]

فمن جملة ما سبق نخلص إلى أن اهتمام البلاغيين بالسياق كان واضحا وجليا من خلال استخداماتهم له وإعطائهم له قيمة قصوى في عملية بنائهم ونسجهم للتراكيب اللغوية، وكذلك في عملية تحليلهم لهذه التراكيب اللغوية وتفكيكها بغرض الوصول إلى المعنى المراد.

**د- السياق عند اللغويين المحدثين**

عرضنا فيما سبق لمعرفة العرب للسياق واستخداماتهم لها فى مجالات عديدة ، ولم يكن العرب وحدهم هم الذين طبقوا هذه النظرية ، وإنما شاركهم أيضا العلماء الغرب الذين اهتموا بالسياق ، وعرفوا أثره فى الكشف عن المعنى)[٤] ففكرة السياق عندما تناولها

---

(١) ينظر الإيضاح للقزوينى تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ج ١ ص ٥٢ دار الجيل بيروت ط ٣ (بدون)

(٢) المصدر السابق ج١ ص٤١

(٣)دلالات التراكيب دراسة بلاغية اد محمد محمد أبو موسى ص ٢٣٨ مكتبة وهبة الطبعة ٢ سنة ١٩٨٧م عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٤ .

(٤)ينظر علم الدلالة مختار د. أحمد مختار عمر ص ١٩

الغربيون فى القرن العشرين لم تكن جديدة تماما، وإنما كانت استمرار لجهـود الـدرس اللغوى ، وكان للعرب سبق فى هذا المجال .

ويدل لفظ (السياق) عند اللغويين المعاصرين على الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر . فيشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة ، ويرادفه القرينة . وله أهمية كبيرة في البحث اللغوي المعاصر ، لغرض تحديد الدلالة ، حتى يصبح نظرية متكاملة ترتبط بتخصصات كثيرة [١] فـ"دى سوسير" الذى يعرف اللغة بأنها ( نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار [٢] يرى أنّ السياق يتركب من وحدتين متتاليتين فأكثر، وأن الكلمة تكسب قيمتها من موقعها ، مما هو سابق ولاحق بها.[٣] وتتلخص فكرت"دى سوسير " عن السياق وقيمته وتظهر فى قوله ( والكلمة إذا وقعت فى سياق ما ،لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق،ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا ) [٤]

أما فندريس فهو من أبرز علماء اللغة الفرنسيين الذين أولوا السياق أهمية كبرى، وقد عالج هذه الفكرة عندما تحدث عن المشترك اللفظى فى اللغة ،وأن السياق يمنع تعدد المعانى أو الوظائف ،بحيث يشكل دائما العامل الحاسم الذى يحدد المعنى المراد من اللفظ المشترك وقد أشار إلى : (أننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد فى وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما ؛ إذ لا يطفوا فى الشعور من المعانى المختلفة التى تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذى يعينه سياق النص ، أما المعانى الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقا )[٥] ومع أن "فندريس " يرى أن المعجم لا يسجل إلا المعنى الأساسى الذى يطغى على ما عداه[٦] فهو يرى – أيضا– :

---

(١) ينظر: ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية – تأصيلية – نقدية ، فايز الداية ٣٢ دمشق دار الفكر المعاصر ط٢ ١٩٩٦م

(٢) دروس فى الألسنية العامة ل فردينا ن دى سوسير تعريب محمد الشاوش –و محمد عجينةص ٣٧ الـدار العربية للكتاب ١٩٨٥م

(٣) المصدر السابق ص ١٨٦

(٤) (ينظر المصدر السابق ص ١٨٦

(٥)اللغة لـ جوزيف فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى محمد القصاص تقديم فاطمة خليل ص ٢٢٢ الهيئـة العامة لدار الكتب والوثائق ٢٠١٤

(٦)المصدر نفسه ص ٢٥٤

"أن الذي يعيّن قيمة الكلمة فى كل الحالات هو السياق ، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً ، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها ؛ والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها . وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية ".(١)

أما ( فيرث ) ،فقد نظر إلى المعنى على أنّه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة ، فهو ليس وليد لحظة معيّنة لما يصاحبها من صوت وصورة ، ولكنّه أيضاً حصيلة المواقف الحيّة التي يمارسها الأشخاص في المجتمع " فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث ، أي من خلال سياق الحال (٢)

ونجد ستيفن أولمان يركز على الفرق بين اللغة والكلام، فاللغة ثابتة مستقرة والكلام عابر سريع الزوال، كما أن اللغة تفرض علينا من الخارج،في ين أن الكلام نشاط متعمد مقصود ،وعليه فاللغة اجتماعية والكلام فردي ويقول أيضا: إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة – فهي تمثل حجر الأساس في علم المعنى. وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن. فقد قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات، فكل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا أم غير لفظي. فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصور الأسلوبية للكلمة، كما تعد ضرورية في تفسير المشترك اللفظي. بل لقد وسع "أولمان" مفهوم السياق فقال: إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل – لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب – بل والقطعة كلها والكتاب كله)(٣)

وكذلك نجد أن اللغويين المحدثين العرب، قد تولد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية "فيرث " السياقية؛ لأنهم تلقوا هذا العلم على يديه – بشكل مباشر،أو غير مباشر – ومن أمثلة هؤلاء تمام حسان وكمال بشر ومحمود السعران وغيرهم، فتناول

(١)المصدر نفسه ص ٢٣١

(٢)ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، ٣٤١ دار الفكر العربي ، القاهرة٢٠٠٦م

(٣)ينظر : دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ، ترجمة : د. كمال بشر ، ص٦٧ مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٨م .

كمال بشر هذه النظرية من جانبها النظري كما هو شأن محمود السعران و لم يتعرضا للجانب العملي التطبيقي حيث دعا كمال بشر إلى تطبيق هذه النظرية في الدرس اللغوي العربي وخصوصا في تناولنا للتراث في حين إن تناوله لهذه النظرية بالتطبيق كان محدودا للغاية من منطق الاستشهاد أو الشرح أو التفسير أما من جاء بعدهم من اللغويين فلم يزد عما قاله هؤلاء بصدد هذه النظرية حيث عرضوا لتوضيح المقصود بمصطلح المقام أو سياق الحال في أبسط صوره .

**أنواع السياق**

وبناءا على هذا الفهم يقسم السياقيون السياق إلى عدة أنواع[١] هي :

* السياق اللغوي : وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ، الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة ، والنص الذي ترد فيه ، أي موقعها من الجملة والنص وما يُكْسِبها من توجيه دلالى[٢]

* سياق الموقف : ويقصد به السياق الخارجي للغة ، ويشمل كل ما يحيط باللفظ من عناصر غير لغوية تتصل بالمكان والزمان ، أو شخصية المتكلم ، أو المخاطَب أو الحركات والإشارات التي تسهم في تحديد دلالة الكلمة)[٣]

* السياق العاطفي : وهو المعني بتحديد درجة القوة والضعف في الانفعال ، فكل كلمة أيا كانت توقظ في الذهن صورة ما بهيجة أو حزينة ، أو غير ذلك ، فهو يميز بين المعنى الموضوعي والمعنى العاطفي للكلمة ( [٤] ) .

* السياق الثقافي : " ويقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.([٥])

* السياق السببي: ويقصد به ما يرد في المعجم من تعليل لاستعمال الصيغة اللغوية على ما هي عليه ، وما يرافق الصيغة من تغيير في الاستعمال نتيجة لتغيير المواقف والظروف ، والأسباب الداعية لإطلاقها .

---

(١) ينظر :علم الدلالة أحمد مختار ص٦٩

(٢) ينظر : دور الكلمة فى اللغة استيفن اولمان ص ٥٤، ٥٥

(٣) علم اللغة د محمود السعران ص ٣١٠

(٤) ينظر : ، علم الدلالة ، د. أحمد مختار –ص ٧٠ ، ٧١

(٥)المصدر السابق ص ٧١

ويمكن أن نختصر هذه التقسيمات بسبب تداخل بعضها مع البعض الآخر إلى قسمين هما : السياق اللغوي وسياق الموقف أو الحال .

ويهتم السياق اللغوي بدراسة مستويات الكلام اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فيشرح مفردات الكلام ومدلولاتها إذ ترتبط أجزاء الجملة بعضها ببعض ، وتدلّ على مختلف العلاقات اللغوية بينها(١)، ومن هنا تظهر قيمتها الدلالية بحسب وضعها في السياق ، وتعالق بعضها ببعض ، ويكون الأثر الأساسي للسياق اللغوي هو تحديد هذه القيمة للكلمة ودلالتها في النظم ، وكذلك ترتيب النصوص اللغوية من حيث الوضوح والخفاء ، فضلاً عن الدور الأساس الذي يؤديه في اختيار بعض البدائل التي تؤثر في المتغيرات اللغوية باعتماده على قرائن سابقة أو لاحقة تتغير دلالة عنصر من عناصرها فيسبب تغيرا في دلالة النص " لأن العناصر المكونة للجملة لن تبقى بدون تغيير إذا صُرِفَ عنصر منها عن دلالته الأولى بقرينة ما "(٢).

أما القسم الثاني وهو سياق الحال فان مقتضى دوره يتأتى من أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية يعبر بها الناس عن أفكارهم وحاجاتهم ، ولذلك فهي متأثرة بالمحيط الخارجي لها ، وبالتالي فاللغة تستخدم وسيلة تعبيرية تأثيرية وهي ليست شيئا مجردا عن الواقع الذي توجد فيه بل إن وظيفتها هى التفاعل مع هذا الواقع (٣)

**٣: - أهمية دلالة السياق**

وتتجلى أهمية دلالة السياق في إعمال النبي -صلى الله عليه وسلم- لدلالة السياق القرآني، واعتباره لها في التفسير. ، وكذلك فى إعمال الصحابة -رضي الله عنهم- لدلالة السياق القرآني، واعتبارهم لها في التفسير.

**١- مراعاة النبى - ﷺ- للسياق.**

إن لمراعاة السياق أهمية بالغة فى فهم النص ،وهى ليست وليدة هذه الأزمان المتأخرة ،وإنما هى مرتبطة باللغة العربية ارتباطا وثيقا منذ القدم ،فلا يفهم الكلام عند العرب إلا ضمن سياقه ،والقرآن الكريم نزل بلغة العرب،يقول الله تعالى: "**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ**

---

(١) ينظر ، الدلالة السياقية عند اللغويين ، : د. عواطف المصطفى كنوش ص ٤٨ . دار السياب للنشر ، لندن ، ٢٠٠٧

(٢) ينظر : النحو والدلالة د محمد حماسة عبد اللطيف ص ١١٧

(٣) ينظر :الدخل إلى علم اللغة / د/ رمضان عبد التواب ص١٢٦ ، ١٢٧ دار غريب ، القاهرة ،، ٢٠٠٦

**الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** " (الشعراء ١٩٢– ١٩٥) .

والنبيﷺأفصح العرب وأعلمهم بدلالات ألفاظ العربية ، يقول الشافعي رحمه الله– : (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ،وأكثرها ألفاظا ،ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي،ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها،حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه)[١]

وقد ثبت عن النبي ﷺاعتبار دلالة السياق. ،واستخدامه–صلى الله عليه وسلم– لدلالة السياق يدل على أهمية السياق وأصالته فمن ذلك :

١–قوله ﷺ لـ عائشة –رضى الله عنها– عندما سألته عن قول الله تعالى:" وَالَّذِينَ **يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**"(المؤمنون ٦٠) فقالت أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟فقال:ﷺ" لا يا بنت الصديق ،ولكنهم الذين يصلون ويصومون ،ويتصدقون ،وهم يخافون إلا يتقبل منهم،" **أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**"(المؤمنون ٦١) [٢]

فالنبيﷺاستدل على هذا المعنى باستخدام دلالة السياق ،فاستدل بلحاق الآية على المعنى المراد .

فإذا نظرنا إلى الآية الكريمة بمفردها وبمعزل عن سياقها ،فإنها حينئذ تحتمل معنيين متضادين : الأول ما فسرها به النبى ﷺ وهو أن المراد بها الذين يعملون الطاعات وهم خائفون ألا يتقبل منهم لتقصيرهم

والثاني :ما فهمته عائشة –رضي الله عنها – وهو أن المراد منها الذين يعملون المعاصي وهم خائفون من لقاء الله –عز وجل – وإذا نظرنا لها فى ضوء سياقها فإنه حينئذ يترجح أحد المعنيين وهو الأول وهذا ما قال به النبي–صلى الله عليه وسلم–،فهو لم يكتف ببيان المعنى الحق والصواب فى هذه الآية ،بل دلل على هذا باستخدام دلالة السياق .

---

(١)ينظر الرسالة للشافعى ص ٤٢.

(٢)رواه الترمذى فى الجامع الكبير للترمذى تحقيق د بشار عواد معروف ج٥ ص ٢٣٦ دار العرب الإسلامى ط ١ ١٩٩٦م

٢- ومنه أيضا ما روى عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ،فأتى النبيﷺفذكر ذلك له فأنزلت عليه قوله تعالى: ".**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ.**" (هود ١١٤)قال الرجل ألي هذه ؟ قالﷺ لمن عمل بها من أمتى" وفى رواية للناس كافة"[١] رواه البخارى فى كتاب التفسير باب قوله "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ" فالرجل يسأل النبىﷺ عن خصوص حكمها لارتباط نزولها لسؤله عن الحكم ،فأجابه النبىﷺ بعموم حكمها للناس كافة اعتبارا لدلالة السياق القرآنى ،فسياق الآية عام بهذا الرجل وبغيره.

**بـــ - مراعاة الصحابة-رضي الله عنهم للسياق**

وكما كان النبيﷺ يراعى السياق في كلامه فكذلك الصحابة -رضي الله عنهم - من بعده فقد اعتبروا السياق فيما كانوا يفهمونه من القرآن الكريم ، وتفسير الصحابة - رضي الله عنهم- لكلام الله تعالى هو الأصل الثالث من أصول التفسير بعد القرآن الكريم والسنة النبوية يقول ابن تيمية -رحمه الله-:( وحينئذ إذا لم نجد التفسير فى القرآن ،ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة ،فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن ،والأحوال التى اختصوا بها ؛ ولما لهم من الفهم التام ،والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ).[٢]

وإعمال الصحابة-رضي الله عنهم- بدلالة السياق فى القرآن الكريم يدل على أهمية السياق ووضوح تلك الأهمية فى أذهانهم -رضى الله عنهم- ومن أمثلة ذلك

١- ما ثبت عن عروة بن الزبير - رضى الله عنه - أنه سأل أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها - فقال :أرأيت قوله تعالى :" **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ**.."(البقرة١٥٨) فقالت عائشة بئسماقلت يا ابن أختى إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت "لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما "ولكنها أنزلت فى الأنصار ،كانوا قبل أن يسلموا يهلون المناة الطاغية التى كانوا يعبدونها ،فكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بين الصفا والمروة ،فلما أسلموا سألوا النبيﷺ عن ذلك ،قالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا

---

(١)صحيح البخاري تحقيق محمد عبد القادر عطا ج٢ص ٥٢٣ دار التقوى ط١ سنة٢٠٠١م

(٢) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمـــد ج ١٣ ص ٣٦٤طبع بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة سنة ٢٠٠٤م

والمروة ، فأنزل الله عز وجل " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ... الآية " قالت عائشة– رضى الله عنها – وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما ،فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما...)[1] رواه البخاري كتاب الحج باب الصفا والمروة .

والشاهد من هذا الأثر هو قول عائشة –رضى الله عنها– :"أنها لو كانت على ما أولتها عليه ..."فأنكرت –رضى الله عنها– على عروة بن الزبير –رضى الله عنه– ما فهمه من إباحة عدم الطواف بالصفا والمروة ؛لأن الإباحة تحتاج رفع الإثم عن التارك "[2]؛ وهذا ما لا يدل عليه سياق الآية ، وبينت أنه لو أريد هذا المعنى فى الآية لكان سياقها ، "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما "،وبهذا يتبين ارتباط المعنى بالسياق .

٢–:ومن اعتبار الصحابة –رضي الله عنهم – للسياق في تفسير القرآن الكريم ما روى أن رجلا سأل عليا –رضي الله عنه– قائلا :"يا أمير المؤمنين :أرأيت قول الله تعالى " **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا** "النساء ١٤١)وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟فقال على –رضى الله عنه – ادنه ادنه ثم قال:" **فالله يحكم بينكم يوم القيامة وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا** "يوم القيامة [3]

وكذا روى عن ابن عباس أنه قال :ذاك يوم القيامة ، وأما السبيل في هذا الموضع فالحجة ، **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**" قال أي حجة [4] ، فالسائل حمل هذا الجزء من الآية على إطلاقه ومن ثم استشكل مخالفة ما فهم للواقع،والسبب في ذلك أنه عزل هذا الجزء من الآية عن سياقه ،فوقع فيما وقع فيه من الخطأ ،فسأل عليا –رضي الله عنه – ، فاستدل – رضي الله عنه– بسياق الآية ،وتحديدا بسباقها ،فوضح معنى الآية في ضوء سياقها ،إذ الحديث عن يوم القي

---

(١) ينظر صحيح البخاري ج١ ص٣٩٦

(٢)ينظر فتح البارى فى شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني تحقيق عبد القادر شيبة الحمد ج٣ ص ٥٨٣ مكتبة الملك فهد ط١ سنة ٢٠٠١م

(٣) ينظر تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن ل ابن جرير الطبرى تحقيق د عبد الله عبد المحسن التركى ج٧ ص ٦٠٩ ط ١ سنة٢٠٠٣م

(٤)المرجع السابق ج ٧ ص ٦١٠، ٦١١

**المبحث الأول :- اللفظ الواحد يقع مقبولا فى موضع ومكروها فى آخر ودور السياق فى ذلك**

إن للسياق دور حاسم فى تحديد مفهوم الألفاظ وتوجيه معانيها فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ،ولا من حيث هى كلمة مفردة ،وإنما من حيث ملائمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها يقول الإمام عبد القاهر :(الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ،ولا من حيث هى كلم مفردة ،وأن الفضيلة وخلافها ،فى ملائمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها ...ومما يشهد لذلك أنك تري الكلمة تروقك وتؤنسك فى موضع ،ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر ،كلفظ "الأخدع" فى بيت الحماسة :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى ***** وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

وبيت البحترى :

وإنى وإن بلغنى شرف الغني ***** وأعتقت من رق المطامع أخدعى

فإن لها فى هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ، ثم إنك تتأملها فى بيت أبى تمام :

يا دهر قوم من أخدعيك فقد ***** أضججت هذا الأنام من خرقك

فتجد أن لها من الثقل على النفس ،ومن التنغيص والتكدير ،أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة .

ومن أعجب ذلك لفظ "الشىء" ، فإنك تراها مقبولة حسنة فى موضع ،وضعيفة مستكرهة فى موضع ، وإن أردت أن تعرف ذلك ،فانظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى

ومن مالىء عينيه من شىء غيره ***** إذا رالح نحو الجمرة البيض كالدمى

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول ،ثم انظر إليها فى بيت المتنبى :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه ******* لعوقه شىء عن الدوران .

فإنك تراها تقل وتضول ،بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم ، ثم يقول وهذا باب واسع ،فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السماك وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هى لفظ وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك فى ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون

السبب فى ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها فى النظم ، لما آختلف بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدا، أولا تحسن أبدا )[١]

فالإمام عبد القاهر لم يذكر فى تعليقه على الأبيات سبب الحسن فى البيتين الأولين ،ولا سبب الثقل والتنغيص والتكدير فى البيت الثالث ،بينما وضح غيره وسأذكر ما ذكره العلماء بعد شرح وتوضيح بيت الحماسة وبيت أبى تمام أما عن بيت الحماسة فيقول المرزوقي : ( أن الشاعر يقول أخذت فى مسيري لما أبصرت حال نفسى فى تأثير الصبابة فيها ،ملتفتا إلى ما تركته من الحى وأرض نجد ،حتى وجدتني وجع الليت – وهو عرق فيها – لطول إصغائي ودوام التفاتي كل ذلك تحسرا على ما تركه من الأحبة والديار وتذكرا لطيب أوقاتى معهم فيها ،وقد قيل إن من رموزهم أن من خرج من بلد فالتفت وراءه رجع إلى ذلك البلد .)[٢]

أما بيت أبى تمام فإنه ينادى الدهر ويأمره أن يعدل ولا يجر، وينصف ولا يظلم ولكن لفظة "أخدعيك" جاءت ثقيلة مستكرهة ،فقد جعل الميل والإعراض يقع بانحراف الأخدع وازورار المنكب، واستحسن أن يجعل للدهر أخدعا ،وأن يأمره بتقويمه ،وقد أغرب أبو تمام فى هذه الاستعارة ،وأتى بما لا يستسغه ذوق النقاد مما جعل العلماء يعيبون عليه هذا الاستخدام فابن سنان الخفاجى جعل سبب القبح فى الاستعارة، فهى عنده مستهجنة لأنه جعل للدهر أخدعا يقول ابن سنان : (وأما قول أبى تمام "يادهر قوم من أخدعيك....." فإن أخادع الدهرمن أقبح الاستعارات،وأبعدها مما استعيرت له ليس بقبح ذلك خفاء ولايعرف أبو تمام الغرض الذى لأجله جعل للدهر أخادع إلاسوء التوفيق فى بعض المواضع .) [٣]

ثم يقول بعد ذلك : (إن أبا تمام قال "يا دهر قوم من أخدعيك..." لما رآهم قد استجازوا أن ينسبوا إليه – الدهر– الجور والميل وقالوا قد أعرض عنا وأقبل على فلان وجفانا ،والميل والأعراض إنما يكون بانحراف الأخدع وأزورار المنكب كلام لا يغنى عن أبى تمام شيئا لأنا قد ذكرنا أن الاستعارة إذا بنيت على استعارة قبحت وبعدت والواجب أن تكون لها حقيقة ترجع إليها بلا واسطة وإذا كان الأمر على هذا وكان قولهم عن

---

(١)ينظر دلائل الإعجاز ص ٤٦: ٤٨ .

(٢)ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص ٨٥٣ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ٣ سنة ٢٠٠م

(٣) ينظر سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ٤٠ .

الدهر قد أعرض عنا وأقبل على فلان استعارة ومجازا بغير شك ولم يحسن أن يجريه مجرى الحقيقة ونبنى عليه أمرا بعيدا حتى نجعل للدهر أخدعا لأجل قولهم إنه قد عرض عنا وانحرف.)[١]

فابن سنان يرى أن أبا تمام رأى بعض الاستعارات المتفرقة فى أشعار القدماء فاحتذاها ،وأحب الإبداع وأغرق فى إيراد أمثالها واستكثر منها فلم يوفق فيها كهذا البيت .

*أما ابن الأثير فقد جعل سبب هذا القبح يكون من جهة الاختلاف فى حقيقة اللفظ لأنها جاءت مثناة فى بيت أبى تمام ،فى حين أنها جاءت مفردة فى بيت الحماسة والبحتري ،فكانت حسنة فى حالة الإفراد، مستكره فى حالة التثنية ،وإن كانت اللفظة واحدة فيقول معقبا على البيتين : (ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة فى بيت أبى تمام من الثقل على السمع والكراهة فى النفس أضعاف ما وجد لها من بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة والإيناس والبهجة ،وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة فى أحدهما مثناة فى الآخر،وكانت حسنة فى حالة الإفراد ،ومستكرهة فى حالة التثنية ،وإلا فاللفظة واحدة ،وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى)[٢]

أما أبو هلال العسكري فقد جعل الاستعارة فى بيت أبى تمام من قبيح الاستعارات والذي لا يشك فى قباحته فيقول : (وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس اغترارا بما سبق منه فى كلام القدماء مما تقدم ذكره، فأسرف ،فنعى عليه ذلك ،وعيب به ؛وتلك عاقبة الإسراف )[٣]

وقد علق أبو هلال العسكري على بيت أبى تمام قائلا : ( ولا خير فى المعاني إذا استكرهت قهرا، والألفاظ إذا اجترت قسرا،ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه ،ولا فى غرابة المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد ) [٤]

أما الآمدى فقد ذكر فى كتابه "الموازنة" أبيات شعرية لأبى تمام مفردة ومثناة وهذه الأبيات فيها استعارات متنوعة ،وقد أخذ على أبى تمام استخدامه لهذه الاستعارات ومن

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢، ٤٣.

(٢) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج١ ص٢٧٧المكتبة العصرية ١٩٩٥م

(٣)ينظر كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق أبو الفضل والبجاوى ص ٣٠٣ طبعة عيسى البابى الحلبى ط١ سنة ١٩٥٢م

(٤)ينظر الصناعتين ص ٦٠

هذه الآبيات التى ذكرها الآمدى قول أبى تمام يا دهر قوم من أخدعيك .....ثم علق على هذا البيت بقوله: (إنها استعارة فى غاية القباحة والهجانة "والغثاثة" والبعد عن الصواب ) [١]

ويعلل الآمدى ذلك بكون الشاعر جعل – مع غثاثة هذه الألفاظ –للدهر أخدعا ويبرز موقفه من إطلاق هذه الأحكام عن استعارات أبى تمام بسبب خروجه عن مجرى الاستعارات فى كلام العرب التي( استعارت المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه فى يعض أحوله أو كان سببا من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له ،وملائمة لمعناه )[٢]

هذا هو المبدأ النقدي الذى انطلق منه الآمدى فى رد الاستعارات أى مبدأ المقاربة من المعنى الحقيقى والمعنى الاستعارى "المجازى"ويستشهد لهذا المبدأ باستعارات من شعر الجاهلية مثل أمري القيس وغيره وكذا من القرآن الكريم ،بدعوى الشبه بكلام الأوائل .

والآمدى فى نقده لاستعارات أبى تمام يطرح جملة من التساؤلات ويقترح بدلائل ممكنة عن اختياراته ، فيقول : (وأي حاجة دعته إلى الأخادع حتى يستعيرها للدهر ؟وقد كان يمكنه أن يقول ولين معاطف الدهر الأبي ،أو لين جوانب الدهر..الخ)[٣]

ويعلل الآمدى التكلف الذي أوقع أبو تمام نفسه فيه لما جاء بـــ "الأخدع " مستعارا للدهر ،ولو جاء في غير هذا "الوضع" أو أتى به حقيقة أو وضعه في موضعه لما قبح ، ثم يذكر الآمدى استخدام البحتري لكلمة" الأخدع" ويوازن بينه وبين أبى تمام فيستحسن استخدام البحتري لكلمة" الأخدع"على الحقيقة بينما عاب على أبى تمام استخدامه لكلمة "الأخدع" مستعارا للدهر ، وهو بذلك يفضل الاستخدام الحرفي أو الحقيقي لمثل هذه الألفاظ بدل إساءة استخدامها استعاريا بوضعها فى غير محلها اللائق بها فيما لا يخدم المعنى المقصود .

وخلاصة القول نستطيع أن نقول أن سبب الحسن فى بيت الحماسة( تلفت نحو الحى ...) أن فى البيت دلالة على الرقبة ، وهى كلمة" تلفت" فحسن لتلك الدلالة لفظ "الأخدع"، وكذلك فى بيت البحترى "وإني وإن بلغني شرف الغنى....." ففى البيت

---

(١)ينظر الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى تحقيق السيد أحمد صـــقر ج١ ص ٢٦٥

(٢)المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٦

(٣)الموازنة للامدى ص ج١ ص ٢٦٩

قرينة تدل على ذلك وهى لفظ" رق" ،ولذلك حسنت لفظ"الأخدع" ، أما قول أبى تمام "يا دهر قوم من أخدعيك ..." فلا توجد أى دلالة على ذلك ومن هنا قبح جعل "الأخدع" للدهر فلا يستساغ أن يجعل للدهر أخدعا.

*- ومن ذلك – أى الكلمات التى تحسن فى موضع وتقبح فى آخر – استخدام كلمة "شىء " فإذا نظرت إليها فى القرآن الكريم ،ترى جمالها فى مكانها المقسوم لها ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى :" فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فيه خَيْرًا كَثِيرًا"(النساء ١٩) .وكذلك فى قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "( يونس ٤٤) وأيضا فى قوله تعالى :" وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا"(الكهف ٤٥)إلى غير ذلك من عشرات الآيات التى وردت بها تلك اللفظة وكانت متمكنة فى مكانها أفضل تمكن وأقواه ،نظرا لظهور معناها والمراد منها فى كل موضع جاءت فيه ثم وازن بينها فى تللك المواضع ، وبينها فى قول المتنبى[1] يمدح كافورا فيقول :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه ***** لعوقه شىء عن الدوران

فإنك تحس بقلقها في بيت المتنبى، ذلك أنها لم توح إلى الذهن بفكرة واضحة، تستقر النفس عندها وتطمئن، فلا يزال المرء بعد البيت يسأل نفسه عن هذا الشيء، الذى يعوق الفلك عن الدوران، فكأن هذه اللفظة لم تقم بنصيبها في منح النفس الهدوء الذى يغمرها، عند ما تدرك المعنى وتطمئن إليه.

وقد علق على هذا لبيت القاضى الجرجانى فى كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه فهو يعلق على استعمال لفظ "شىء" فيقول :(وهذا البيت من قلائده – المتنبى – إلا أنك تعلم ما فى قوله "شىء" من الضعف الذى يجتنبه الفحول ولا يرضاه النقاد )[2] "فالجرجانى " فى هذا المثال يرفض مثل هذا الاستعمال للفظة "شىء" فقد عاب على "المتنبى" موضع اللفظ الذى رأى فيه سوء اختيار ،كما رأى فيه تأثيرا سلبيا على المعنى ، وإنكاره لاستعمال كلمة "شىء" دون غيرها يعود إلى أن هذه اللفظة غير مناسبة لحمل المعنى المراد من قبل الشاعر ،الأمر الذى أحدث عدم انسجام فى التركيب ،وأدى إلى الحكم عليه بالرداءة ،كونها لم تؤد المعنى الدقيق القريب ،فحدث

---

([1]) ينظر ديوان المتنبى ص٤٧٧ دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٣م

([2]) ينظر :الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،وعلى الجباوى ، ص ١٨١ المكتبة العصرية ، صيدا ،بيروت ،لبنان ، د ط، د ت.

تنافر فى صلتها بمجاورتها،"فالجرجانى" يؤكد على دور اللفظة فى بناء التركيب من خلال حسن التوظيف على أساس المعنى بـــ (أن تقسيم الألفاظ على رتب المعانى )[1] ،وما نلحظه فى هذا المثال هو عيب فى الاستخدام الموضعى للفظ وليس عيبا معجميا خالصا ؛ كأن يكون تغييرا فى بنية الكلمة وتميزها بالغرابة ، أو خروجها عن حدود المعجم، ولكن سوء الاختيار أثر فى المعنى وفى شعرية اللغة التى وصفت بالرداءة ، حيث عد هذا الاستعمال ضعفا ومجانبة للفحولة .

أما قول عمر بن أبى ربيعة :

ومن مالىء عينيه من شىء غيره ***** إذا رالح نحو الجمرة البيض كالدمى

فقد استشهد به الإمام عبد القاهر على حسن موقع" شىء "ومكانها من القبول، حيث فهم منها المقصود بها فكانت واضحة جلية بخلاف بيت المتنبى السابق .

ومعنى البيت: أن كثير من الناس يُطْلِقُ بَصَرَه في النظر إلى النساء إذا ذهبن لرمي الجمار .فهو بذلك يتطلعُ إلى ما لا يمتلك، وهو النظر إلى النساء الأجنبيات عنه .ولعلّ المعنى لا يقف عند حد النساء فحسب، بل يتعداه إلى أمور آخرى؛ فكثير من الناس يزهد بما في يده، ويتطلّع إلى ما عند غيره أيّاً كان ذلك المُتَطَّلع إليه فكم من الناس من يستشير البعيد عنه، ويزهد بالقريب منه من نحو والد، أو قريب أو أستاذ، مع أنّ من أولئك من قد يفوق المستشار البعيد بمراحل؛ فأولى لهذا ثم أولى له ألاّ يزهد بمن عنده إلاّ إذا كان يستحيي من مشورة القريب في بعض الأمور .

فالتطلُّع إلى ما في أيدي الآخرين مما يورث الحسرات، والغموم؛ فحريٌّ بالعاقل أن يرضى بما عنده، وألاّ يمد عينيه إلى ما ليس له إليه سبيل . قال تعالى: (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)(طه:١٣١)

وبذلك اتضح لنا أن الكلمة لا توصف بالقبح أو الحسن لذاتها ، فيجب أن لا يبحث عن الكلمة بل استعمالها ،فإن لكل مفردة أو كلمة لها معنى تحمله بذاته ومعنى تكتسبه من خلال السياق الذى وضعت فيه من أجل تأدية هذا المعنى ومن حلال مجاورتها لباقى المفردات ،وكما يقول اللسانى الفرنسى مبيه:(إن الكلمة الحقيقية هى الكلمة فى السياق)[2]

---

([1]) ينظر : المرجع السابق ص ٢٤

([2])ينظر : اللسان العربى وقضايا معاصرة عمار السا مى ص ١٣١ دار المعارف طبعة سنة ٢٠٠٠ م .

**المبحث الثانى : – تغاير دلالة الكلمة الواحدة لتغاير دلالة السياق .**

إن مفردات اللغة العربية واسعة الدلالة، فلا يتحدد المراد من المفردة العربيـــــة إلا إذا نظـــر إليها في ضوء سياقها، فحينئذ تتضح معالمها، وينتفي تعدد المعـــاني واشـــتراكه وتعميمـــه، ويقطـــع بإرادة أحد معانيها المحتملة، وتغاير دلالة الكلمة الواحدة لتغـــاير دلالة السياق يشمل اللفظ المفرد والصيغة أو الأسلوب

**ا:– أثر السياق فى اللفظ المفرد :–**

اللفظ المشترك هو : لفظ واحد له أكثر من معنى ،وقد عرف عند اللغويين المحدثين بقولهم :( هو اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر ،وهوبهذا عكس الترادف) [١]

وقد حدد معناه السيوطى ناقلا عن ابن فارس فى "فقه اللغة" فقال : ( وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ

الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة )[٢]

فمن المعلوم أن ألفاظ اللغة العربية واسعة الدلالة ،فكثير منها مشتركة فى الدلالة على أكثر من معنى يقول سيبويه :( أعلم أن من كلامهم – العرب– اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ،واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعني.)[٣] ويقصد بالأخير المشترك اللفظى .

كما يقول الشافعى:(وتسمى – العرب– الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة ،وتسمى بالاسم الواحد المعاني الكثيرة )[٤]

فالمعجم يعطى معان عامة ومتعددة للمفردة ، ويعتريها الاحتمال بينما إذا نظرنا إليها فى ضوء سياقها؛ فإنه حينئذ تتحدد المعالم لهذه المفردة ،ويتضح المراد منها ويقطع بإرادة أحد معانيها المختلفة فى هذا الموضوع ،وينتفي تعدد المعاني واشتراكها وتعميمها ، فبذلك يكون السياق هو علاقة الكلمة التى وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة ،وذلك لأن الكلمات ليست أجساما بلا أرواح ،ولكنها

---

(١) ينظر فى علم الدلالة د ابراهيم ضوة ص ١٠٩ دار الثقافة العربية بالقاهرة ط١ سنة ١٩٩٧م

(٢) ينظر المزهر جلال الدين السيوطى ص ٣٦٩ ط٢عيسى البابى الحلبى .

(٣)ينظر الكتاب ج ١ ص ٢٤ .

(٤)ينظر الرسالة للشافعى ص ٥٢.

حية متحركة ،وهو كذلك أيضا المفتاح الذى يفتح المغلق منها ،والمصباح الذى يهتدى بضوئه على تحديد معانيها .

هذا وقد أشار اللغويون العرب القدماء إلى أن السياق هو الذى يحدد الدلالة المقصودة من المشترك اللفظى فابن الأنبارى "ت ٣٢٨هـ" فى مقدمة كتابه الأضاد يقول مبينا ذلك :" إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ،ويرتبط أوله بآخره ،و لا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستقائه ،واستكمال جميع حروفه) ويقول فى موضع آخر:( ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعانى المختلفة ،وإن لم تكن متضادة ،فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ،ويتأخر بعده ،مما يوضع تأويله،كقولك :حمل لولد الضأن من الشاه ،وحمل اسم رجل ،ولا يعرف أحد المعنيين إلا بما وصفناه )[١]

إن كلام الأنبارى يدل على أهمية السياق وبخاصة فى أبواب التعامل مع العديد من المباحث المختلفة، ويرى أن لهذا أمثلة كثيرة يطول إحصاؤها وتعدادها .

أما عند اللغويين المحدثين فقد ورد أن فيرث صرح بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ،أى وضعها فى سياقات مختلفة ،ومعظم الوحدات الدلالية تقع فى مجاورة وحدات أخر [٢]

والذى يعنينا من هذه الظاهرة اللغوية – تعدد المعانى للفظ الواحد – أن نبين أنه وردت فى القرآن الكريم ألفاظ أختلفت معانيها وفق السياقات والسباقات التى وردت فيها ، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين، وفيه كل خصائص اللغة العربية من اختلاف اللفظين والمعنى واحد ،أو اتفاق اللفظين والمعنى مختلف، والذى يحدد المعنى هو السياق ، فقد يسبق الذهن منها عند الوهلة الأولى غير ما هو مراد منها، ولكن إذا أمعنا النظر فى ذلك اللفظ على ضوء السياق الذى ورد فيه استطعنا أن نفهم المقصود من ذلك اللفظ وبالتالى فهم الآية بناء على ذلك .

إن لكل كلمة فى القرآن الكريم معنى فى ضوء سياقها ، قد لا يصح هذا المعنى لسياق آخر ، ومن خلال السياق نعرف مدى بلاغة استخدام هذا اللفظ بهذا المعنى فى ذلك الموضع ،ففى القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن ألفاظا مشتركة كان للسياق أثر فى

---

(١) ينظر كتاب الأضداد ص٢: ٤

(٢). ينظر علم الدلالة ، ل فرانك بالمر ص ٦١ترجمة : مجيد الماشطة،دار المأمون للتراث، بغداد، ١٩٨٥

تفسيرها وتحديد المعنى المراد منها ،وحسبنا فى هذا المقام بعض الأمثلة التى توضح ما نحن بصدده ؛لأن أمثلة هذا النوع لا يستوعبها بحث كهذا فبمثال واحد من القرآن الكريم يزداد الأمر بيانا ، فمن ذلك:

١ – لفظة" **الفتح** " التى وردت فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ،وكان لها فى كل موضع دلالة تغاير دلالتها الأخرى فى الموضع الآخر ،وذلك بناء على مقتضى السياق اللفظى الواردة فيه .

فهذه اللفظة نألفها فى الخطاب الإلهى وقد انطوت على جملة من المعانى اللغوية ،بيد أنها لا تحمل هذه المعانى جميعا فى كل موطن ،وإنما لها فى كل مكان معنى يناط بها.

ولفظ "الفتح" ورد فى القرآن الكريم فى ثمانية وثلاثين موضعا ،جاء فى عشرين موضعا بصيغة الفعل من ذلك قوله تعالى:"**وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُم وَجَدُوا بِضَاعَتَهُم رُدَّت إِلَيْهِمْ**"( يوسف ٦٥)وجاء فى ثمانية عشر موضعا بصيغة الاسم ومن ذلك قوله تعالى "**فَعَسَى اللَّه أَن يَأْتِي بِالْفَتْحِ**"(المائدة ٥٣)،وفى القرآن الكريم سورة الفتح .

ولفظ " الفتح " فى القرآن الكريم جاء على معنيين رئيسيين هما:-

١-: الفتح المادى وهو الأصل فى معنى الفتح لغة ،٢- : الفتح المعنوى وأكثر ما جاء بحسب هذا المعنى ."الفتح المعنوى"

١- **الفتح المادى** :- وقد ورد فى لسان العرب "الفتح" نقيض الإغلاق ،و فتح المغلق أي :أزال إغلاقه فعندما نسمع كلمة "فَتَح" أو" فتْح" نفهم أن هناك شيئا مغلقا أو مشكلا ،فإن كان من المحسوسات يكون الشىء مغلقا والفتح يكون بإزالة الإغلاق ، وهى الأقفال ،وإن كان فى المعنويات يكون الفتح هو إزالة الإشكال .

والفتح الحسى له نظير فى القرآن الكريم ومما ورد فى القرآن الكريم منه قوله تعالى" .. **وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُم وَجَدُوا بِضَاعَتَهُم رُدَّتْ إِلَيْهِمْ**"( يوسف٦٥) فكلمة "فتحوا" تعنى أن المتاع الذى كان معهم كان مغلقا واحتاج إلى فتح حسى فالفتح هنا بمعنى فك الأربطة من المتاع وهذا هو الأصل فى معنى الفتح ،والمقصود بالمتاع هنا هو ما حملوه من مصر ،فإخوة يوسف عليه السلام لما فكوا الأربطة عن المتاع الذى حملوه من مصر من عند أخيهم يوسف وجدوا ثمن الطعام الذي اكتالوه منه ردت إليهم فالفتح هنا جاء على المعنى الحقيقى له .

ومما ورد فى القرآن الكريم من الفتح المادى أيضا قوله تعالى: "**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** "(الزمر ٧١، ٧٢) فالفتح هنا جاء بمعنى الفتح المادى وهو نقيض الإغلاق ،أى فتح أبواب جهنم أمام الكفار وفتح أبواب الجنة أمام المتقين ، ففى الآية الأولى ذكر الله تعالى أحوال الكفار فهم يساقون إلى النار سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد ،ثم ذكر غاية هذا السوق فقال "حتى إذا جاءوها " أى لمجرد وصولهم إليها فتحت لهم الأبواب سريعا لتعجل لهم العقوبة ،أما كلمة "سيق" فى حق المتقين فهو مساق تعزيز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة ،فشتان ما بين السوقين ، هذا سوق إكرام ،وذلك سوق إهانة وانتقام يقول الدكتور أبو موسى: ( والكلمة الواحدة لها إيحاءان مختلفان حسب سياقها فقد عبر القرآن الكريم بكلمة –سيق– فى جانب الكافرين وسوقهم إلى جهنم زمرا وفى جانب المؤمنين وسوقهم إلى الجنة زمرا . ويقف الزمخشرى عند هذا اللفظ فى هذين المقامين المتباينين ليشير إلى إيحائه هنا وإيحائه هناك فيقول فإن قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق؟ قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل ،والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين إسراعا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين )[١]

فكما اختلف السوق لكل منهما فكذلك اختلف فتح أبواب جهنم عن فتح أبواب الجنة ،ففى حق الكافرين جاء الفعل "فتحت" بدون الواو فقال "**حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها**" ليدل على أنها كانت مغلقة قبل وصولهم إليها ،وحين مجيئهم فتحت لهم فجأة تهويلا ورعبا يقول الألوسى :(كانت قبل مجيئهم غير مفتوحة فهى كسائر أبواب السجون لا تزال

(١)ينظر : البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية الدكتور محمد حسين أبو موسى ص ٢١٦ دار الفكر العربى "بدون"

مغلقة حتى يأتى أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فتفتح ليدخلوها فإذا دخلوها أغلقت عليهم ) [1]

ولهذا قال لهم خزنتها من الزبانية "**ألم يأتكم رسل منكم**" فالاستفهام جاء موجها إلى أهل النار وهو استفهام إنكاري مستعمل فى التوبيخ والزجر والتقريع كما دل عليه قوله تعالى " **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** " .

أما فى حق المتقين فجاءت الآية بالواو فقال تعالى "**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** " وهى واو الحال، أى والحال أنها قد فتحت أبوابها إكراما لهم ،فهى مفتحة لا يقفون ،وكون الواو للحال يشعر بأن الفتح يتقدم على دخول أهل الجنة ،وكأن خزنة الجنات فتحوا أبوابها ووقفوا منتظرين لهم ،كما تفتح الخدم باب المنزل للمدعو للضيافة قبل قدومه ، وتقف منتظرة له ،وفى ذلك من الاحترام والإكرام ما فيه ، فخزنة الجنة تتلقاهم بالبشارة والسلام والثناء، لا كما تلقى زبانية جهنم الكفار بالتقريع والزجر والتأنيب فكما كان مساق كل منهما مختلف فكذلك كان الفتح والاستقبال لكل منهما مختلف .

**بـــ – الفتح المعنوى وهو أكثر ما جاء فى القرآن الكريم .**

وللزيادة فى التوثيق نحال إلى قاعدة التطبيق ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر لفظة "افتح" بمعنى افصل واحكم واقض ،وقد وردت فى القرآن الكريم بهذا المعنى فى قوله تعالى "**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**"(الأعراف ٨٩) فإذا رجعنا للمعجم نجد أن معنى "افتح" فى الآية الكريمة بمعنى احكم وافصل ،وإذا نظرنا إلى سياق الآية نجد أنها تتحدث عن قوم سيدنا شعيب الذين كذبوه وعاندوه ،بل وهددوا بإخراجه إذا لم يتبع ملتهم فقالوا" **لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** "،فقوم شعيب عليه السلام أخبروه بعزمهم على أحد الأمرين :إخراجه ومن معه من المؤمنين أو العودة إلى ملتهم ، فأخبرهم شعيب عليه السلام بالعزم القاطع على عدم العود إلى ملتهم البتة ، قال تعالى على لسان سيدنا شعيب :" **وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا** "ثم التجأ عليه السلام إلى ربه بالدعاء على قومه إذ يئس من فلاحهم وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله تعالى بالطاعة والإقرار له بالرسالة

---

([1]) ينظر روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى للألوس ج ٢٤ ص ٣٢ طبعة دار إحيـــاء التـــراث العربى بيروت لبنان .

واستفتح بقوله غن نفسه وعن المؤمنين معه فقال :" **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** " فقد سأل ربه أن يحكم بينه وبينهم أو يفصل بينهم بحكمه الحق الذى لا جور فيه ولا ظلم فالله تعالى هو خير الحاكمين .

وقد كنى بالفتح عن الحكم الفصل وهو الهلاك ،وهو يعلم أن الله سينصره وأن الخزي اليوم والسوء على الكافرين .

كما قيد الفتح بالحق فقال :"**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ**" لإظهار أمرهم وانكشاف ما بين شعيب ومن معه من المؤمنين وبين قومه ،فيتميز المحق من المبطل وهى من فتح المشكل إذا بينه ،فشعيب عليه السلام سأل ربه أن يفتح بينهم– هو ومن آمن معه – وبين قومه بالحق والعدل فيوقع العقوبة على الظالمين ،والنجاة والإكرام للصالحين .

وقوله :" **وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**" أي وأنت خير الحاكمين لخلو حكمك من الجور والحيف والظلم والجملة تذييل مؤكد لمضمون الجملة السابقة

هذا وقد جاء نفس المعنى فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى :" **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** "(سبأ ٢٦)

وسياق الآية هنا يتحدث أيضا عن قوم ظلموا أنفسهم وجادلوا وهم أهل سيا .

وكذلك أيضا ما ورد عن قوم سيدنا نوح عليه السلام فقد دعا ربه أن يحكم بينه وبين قومه بالحق قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام : **قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** "( الشعراء ١١٧،١١٨).

وهكذا نجد أن أنبياء الله عليهم السلام قد توجهوا إلى الله الفتاح أن يفتح بينهم وبين قومهم المعاندين فيما حصل بينهم من الخصومة . ومن ذلك نخلص إلى أنه لا يصح استخدام قوله تعالى ": **ربنا افتح بيننا**....الآية " إلا عند إرادة المفاصلة والمفارقة بين مؤمن وغير مؤمن ،أو عند طلب القضاء من الله بين فئة مؤمنة وأخرى كافرة ،أما استخدام هذه الآية فى استهلال الخطب والمواعظ ودروس العلم كصيغة دعاء من قبل قوله تعالى "رب اشرح لى صدرى " ونحو ذلك مما يحسن الافتتاح به فهذا خطأ شائع وفادح فى نفس الوقت ،لما علم من أن معنى "افتح" أى أحكم وافصل واقض .

وإذا كانت كلمة "الفتح " قد ورددت فى الآيات السابقة بمعنى أحكم وافصل وأريد بها الدعاء على طائفة كافرة ،فإنها قد وردت فى موضع آخر بمعنى الإرسال وأريد بها

الخير والبركة والرحمة وذلك كما فى قوله تعالى:" **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** "(فاطر٢) .فهى هنا صفة جمال وجلال ،بمعنى أن الله تعالى ينزل برزقه وخيره ورحمته على الطائعين .

فبعد أن ذكر الله تعالى مظاهر قدرته فى خلق السموات والأرض وأنه موجدهما ومبدعهما على غير مثال سابق ،ذكر انفراده تعالى بالتدبير والعطاء والمنع فقال " **ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ...**الآية) والمراد بالفتح هنا الإطلاق والإرسال على سبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية ؛لأن المجاز هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له فى أصل اللغة ،وعلاقته السببية لأن فتح الشيء المغلق سببٌ لإطلاق ما فيه ،أى ما يرسل الله تعالى بفضله وإحسانه للناس من رحمة فلا أحد يستطيع منعها عنهم ،فهو فاتح الرحمة للناس وممسكها عنهم فلا أحد يقدر على إمساك ما فتحه ولا فتح ما أمسكه ،ولا يستطيع أحد إبطال ما أراد من إعطاء أو منع ،وهو تعالى يحكم لا معقب لحكمه.

وقوله " **ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ...**الآية" استعارة تمثيلية حيث شبه سبحانه وتعالى حالة إرسال النعم للناس بفتح الخزائن للإعطاء وكأنما هى أبواب موصدة لا يفتح مغاليقها إلا الله ،جاء فى التحرير والتنوير :(والفتح :تمثيلية لإعطاء الرحمة إذ هى من النفائس التى تشبه المدخرات المتنافس فيها فكانت حالة إعطاء الله الرحمة شبيهة بحالة فتح الخزائن للعطاء ، فأشير إلى هذا التمثيل بفعل الفتح ،وقوله "من رحمة"قرينة الاستعارة التمثيلية )[١]

وقد جاءت كلمة "رحمة" نكرة لتفيد العموم والشمول ويدخل فيها كل ضروب النعم ،وقد ورد فى تفسير أبى السعود :( وتنكير لفظ "رحمة" للإشاعة والإبهام أى أى شيء يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة أو صحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به )[٢]

وقوله " **وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ**" هى أيضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالة منع الله تعالى نعمه وحبسها عن الناس بحالة الإمساك بشيء والشد عليه حتى لا يسقط ،فإن

---

([١])ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢٢ ص ٢٥٢ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤

([٢])ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسير أبى السعود ج ٧ص ١٤٢ دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان (د ت )

حقيقة الإمساك هى أخذ الشيء باليد والشد عليه حتى لا يسقط ،وهذا على سبيل الاستعارة التمثيلية ،وبذلك يكون قد استعار الفتح للإطلاق والإمساك للمنع .

هذا ويلاحظ اختلاف الضميرين فى قوله " **فلا ممسك لها** "وقوله "**وما يمسك فلا مرسل له**" ،والسبب فى ذلك أن الضمير الأول يرجع للرحمة ،ولذلك أنث معها الضمير أما الثانى فإن الضمير مذكر لأن مرجع الضمير الثانى مطلق يتناول الرحمة ويتناول غيرها ،كما أن فيها ما يدل على أن رحمته تعالى سبقت غضبه ،وقد جعل ابن عاشور فى التحرير والتنوير أن السبب فى اختلاف الضميرين راجع إلى أن أحدهما روعى فيه معنى "ما" والآخر روعي فيه لفظ "ما" يقول : ( وضمير "لها" وضمير "له" عائدان إلى "ما" من قوله " **ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ**"، وروعى فى تأنيث أحد الضميرين معنى "ما" فإنه اسم صادق على " رحمة" وقد بين بها ،وروعى فى تذكير الضمير الآخر لفظ"ما" لأنه علم لفظ لا علامة تأنيث فيه،وهما اعتباران كثيران فى مثله فى فصيح الكلام ،فالمتكلم بالخيار بين أى الاعتبارين شاء ،والجمع بينهما فى هذه الآية تفنن ،وأوثر بالتأنيث ضمير "ما" لأنها مبينة بلفظ مؤنث وهو "من رحمة") [1]

ثم ختم الآية بالتذييل المقرر لمضمون الكلام السابق وهو قوله " وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" فدل على أن كل من الفتح والإمساك هو بحكمة من الله تعالى فما هو إلا عبارة عن العطاء والمنع فهو الذى يعطى ويمنع، ويضر وينفع فهو الغالب على كل شيء الحكيم فى صنعه.

وهكذا نجد اختلاف معنى لفظ "الفتح" من سياق تعبيرى قرآنى لآخر ففى السياق الأول دلت على الحكم والفصل والقضاء ،وفى السياق الثانى دلت على معنى إرسال النعم للناس فهى صفة جمال وجلال .

٢- وعلى المنوال ذاته يمكن أن ننظر إلى لفظة **(ضرب)**فى التعبير القرآنى حيث وردت فى غير موضع من النص القرآنى ؛ وكان لها فى كل موضع دلالة تغاير دلالتها الأخرى فى الموضع الآخر ،وذلك بناء على مقتضى السياق اللفظى الواردة فيه ، فهذه اللفظة نألفها فى الخطاب الالهى وقد انطوت على جملة من المعانى اللغوية ،بيد أنها لا تحمل هذه المعانى جميعا فى كل موطن ،وإنما لها فى كل مكان معنى يناط بها ، ومن ذلك ما ورد فى قوله تعالى "**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ**

---

([1])ينظر التحرير والتنوير ج ٢٢ ص٢٥٣.

**أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا** "( النساء٣٤) ، فقد وردت فى هذه الآية ودلت على المعنى المعجمى للضرب وهو الحدث المعروف بمعنى المعاقبة (أي ضربا باليد غير مبرح) [١]، والذى عضد هذا المعنى للفظة "ضرب" فى هذا المقام هو لفظ"اهجروهن" وهو فعل يؤول بالضرورة إلى ألم وحسرة فكان معنى "ضرب" من هنا دال على العقوبة لا على الانتقام والإضرار.

ومنه أيضا قوله تعالى :" **وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** "(المزمل ٢٠) فنجد أن لفظة "يضربون" تدل على معنى السعى لطلب الرزق وكسب المال الحلال) [٢] فهى هنا لم يقصد بها المعنى المعجمى لكلمة الضرب كما كانت فى الآية السابقة، والذى دل على أن المقصود بها هنا السعي هو قوله " **يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** " فلفظة "الابتغاء" غالبا ما ترد فى السياقات القرآنية المختلفة دالة على طلب الرزق ، كما فى قول الله عز وجل " **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**" ( الجمعة١٠)،ولما كان السعي مقدمة لطلب الرزق دل هذا على أن الضرب –ههنا– هو السعي من أجل نيل الرزق الذى عبر عنه سبحانه وتعالى بـــ"الفضل"؛لأنه عز وجل متفضل على العباد بتهيئة القوة لعباده لطلب الرزق من جهة وتيسير منافذ نيل طلب الرزق من جهة أخرى

وقد جاء لفظ" الضرب" فى الآية الأولى على حقيقته أما هنا فى هذه الآية فهو مجاز إذ أن حقيقة الضرب :قرع جسم بجسم آخر ،وسمى السير فى الأرض ضربا فى الأرض لتضمين فعل "يضربون" معنى يسيرون فإن السير ضرب للأرض بالرجلين لكنه تنوسى منه معنى الضرب وأريد المشي فلذلك عدى بحرف "فى" لأن الأرض ظرف للسير.)[٣]

ومن الأمثلة الدالة على تغاير لفظة "ضرب" لتغاير السياق قوله تعالى :" **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ** "(آل عمران١١٢)إذ نجد أن لفظة(ضربت) تدل على معنى "أقيمت"

---

([١])ينظر : الوجوه والنظائر فى القران الكريم للدماغانى تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ص ٢٨٨ دار العلم للملايين ط٤ ١٩٨٣.

(١)ينظر صفوة التفاسير محمد على الصابونى ج ٣ ص ٤٦٩ دار القرآن الكريم بيروت ط ٤ ١٩٨١م

([٣])ينظر التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٢٨٦.

فالآية الكريمة تتحدث عن الكافرين ،وأن الذل ثابت وقائم على الكافرين لا محيص إلى تبديله ، وقد جاء لفظ (الضرب ) هنا على سبيل المجاز لا الحقيقة فقوله " ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ" استعارة تبعية حيث شبه الحكم على اليهود بالذلة والمسكنة بضرب الخيمة على من فيها ،واشتق منه "ضرب" بمعنى "حكم" ،يقول الرومانى :(حقيقته حصلت عليهم الذلة ،والاستعارة أبلغ ،لما فيها من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة ،كما يثبت الشيء بالضرب ،لأن التمكن به محسوس ،والضرب مع ذلك ينبىء عن الإذلال والنقص ،وفى ذلك شدة الزجر لهم والتنفير من حالهم )[١].

وربما استعمل سبحانه وتعالى الفعل "ضربت" بدلا من "أقام عليهم الذلة" لما فى فعل الضرب من معنى العقوبة والإعراب عن غاية الغضب وعدم الرضى على اليهود .

ومن استعمال لفظ "ضرب " فى معنى آخر مختلف قوله تعالى :"**فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**"(الكهف ١١) فنلحظ أن معنى "ضربنا" فى الآية القرآنية هنا بمعنى النوم أى : ( أنمناهم وقيل: منعناهم السمع ؛لأن النائم إذا سمع انتبه )[٢] والدليل على أن ضربنا هنا جاءت بمعنى "أنامهم" استعمال الأذن التى تدل على أنهم لم يكونوا ليسمعوا شيئا ؛لأنهم نائمون ، ويعضد هذا المعنى قوله " سِنِينَ عَدَدًا" فلا يعقل أن يكون معنى الضرب هنا المعنى اللغوى أو المعنى المعجمى الذى هو الحدث المعروف وإلا لكان المعنى أن الله تعالى كان يضرب أصحاب الكهف على آذانهم سنين عديدة ،وهذا محال لأن السياق السابق لهذه الآية يصف أهل الكهف بأنهم مؤمنون وقد فروا بإيمانهم فكيف له تعالى أن يعذبهم بالضرب على آذانهم ؟!! ولهذا فإن المعنى أنه سبحانه وتعالى أنامهم سنين حتى يذهب مُلك الكفرة ويتخلص أصحاب الكهف منهم فجاء هذا النوم إنقاذا لهم من بطش الكفرة وليكونوا آية للناس بأن الله تعالى ينقذ عباده الصالحين.

ومنه أيضا قوله تعالى:"**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ** "(الزخرف ٥) فنجد أن لفظة (نضرب) فى الآية الكريمة لا تدل على المعنى الحقيقى لها وإنما

---

(١)ينظر النكت فى إعجاز القرآن للرمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القران الكريم تحقيق د محمد زغلول سلام ،و الأستاذ محمد خلف الله ص٩٠دار المعارف القاهرة ط٢

(٢)ينظر بصائر ذوى التمييز للفيروز ابادى تحقيق الأستاذ محمد على النجار ج ٣ ص ٤٦٦ الطبعة الثالثة القاهرة سنة ١٩٩٦م .

تحمل دلالة الإعراض والترك ،[1]والذى يقوى هذا المعنى السياق بدلالة قوله (صفحا) فالصفح معناه الإعراض ففى لسان العرب : ( صفح عنى فلان أى أعرض عنه مواليا ،... وأيضا بمعنى أعرض بوجهه وولانى قفاه) [2] ،وبذلك فهم أن معنى الضرب هنا هو إعراض فهو يعرض بصفحه عنهم – إن جاز لنا التعبير مجازا– فضرب الصفح جار فى العرف اللغوى بأنه يدل على معنى الإعراض ،فكأن المرء يعرض عن الشىء بأن يعطى صفحه للمتكلم دلالة على أنه معارض لما يقال أو يحدث .

وبهذا نستطيع أن نقول أن الضرب فى الآية يدل على الترك والإعراض فالله سبحانه وتعالى لا يترك ذكره صفحا ولا يعرض عنه ، فمن المحال أن يفعل سبحانه ذلك ،ولهذا كانت دلالة الاستفهام بالهمزة فى أول الآية استفهام إنكاري ، فهذا المعنى يتناسب مع عدم ترك الذكر والإعراض بالصفح فالاستفهام هنا غير حقيقى وإنما هو إنكاري استهزائي بالكافرين .

ومن هنا نجد أن ما يحدد معنى لفظة (ضرب) فى الآيات القرآنية هو السياق فهو القرينة التى تشخص الدلالة وتفرض للفظة معنى واحدا بعينه.

**٣** – ومن الأمثلة أيضا لفظ"**بلغ** "،فإن لكل كلمة فى القرآن الكريم معنى فى ضوء سياقها قد لا يصح هذا المعني لسياق آخر ،ومن خلال السياق نعرف مدى بلاغة استخدام هذا اللفظ بهذا المعنى فى ذلك الموضع ، ومثالنا على ذلك لفظ "**بلغ**" فإن كلمة البلوغ لفظ مشترك، يطلق في اللغة على المقاربة، وعلى الانتهاء إلى الشيء،يقول الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن الكريم : (البلوغ :الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى ،مكانا كان أو زمانا ،أو أمرا من الأمور المقدرة،وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه )[3]

وقد ورد هذا اللفظ في آيتين متجاورتين،كان للسياق الفضل في اختيار المعنى المناسب لهذه اللفظة في الموضعين ،حيث جاء في الآية الأولى، قوله تعالى:"**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** "[البقرة: ٢٣١]، فالخطاب

---

([1])ينظر ما تفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد تحقيق الدكتور أحمد محمد سليمان ص ٤٨ مطبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ط١ سنة ١٩٨٨م

([2])ينظر : لسان العرب مادة صفح

([3])ينظر :مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهانى ص ١٤٤

هنا للأزواج، والمراد ببلوغ الأجل:الوصول إليه ،والمراد به هنا مشارفة الوصول إليه بإجماع العلماء – أى قرب انتهاء العدة ؛لأن الأجل إذا انقضى زال التخيير بين الإمساك والتسريح)[1] فلما خير الزوج دل على أن المعنى ما ذكرنا بالإجماع.

أما في الآية الثانية وهي قوله تعالى:" **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ** ﴿ (البقرة: ٢٣٢)، فإن السياق يحتم حمل المعنى على انتهاء الأجل فالخطاب هنا للأولياء،والمعنى: أن الزوج إذا طلق زوجته،وانقضت عدتها، وأراد أن ينكحها من جديد؛ فليس لولي أمرها أن يمانع، فلو كان معنى بلوغ الأجل هنا المقاربة؛ لراجع الزوج مطلقته دون حاجة إلى ولي أمرها ، ورحم الله الشافعي حين قال فى هاتين الآيتين :( دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فأحدهما مقاربة بلوغ الأجل .....والبلوغ الآخر انقضاء الأجل ) [2] فقد جعل السياق البلوغ في الآية الأولى بمعنى مشارفة بلوغ الأجل، وجعله في الآية الثانية بمعنى انتهاء الأجل،وكل الذي ذكرنا محل إجماع المفسرين

ومن خلال بعض الألفاظ والكلمات التى تم الاستدلال بها على تغاير دلالة الكلمة لتغاير سياقها فى الجملة اتضح لنا أن الذى يحدد معنى اللفظة هو السياق فهو القرينة التى تشخص الدلالة وتفرض قيمة واحدة على اللفظة ..

**أثر السياق فى تغاير دلالة الصيغة**

إن سياق الحال أو المقام له دلالات متعددة ،وقد تنبه لها علماء المعاني من البلاغيين قديما وتحدثوا عن أنواع الخطاب بفعل الأمر بحسب مقامات المخاطبين من أمر واجب ،والتماس باحترام ، ودعاء، وتهديد وغير ذلك ،فالسياق فى هذا الأمر له دلالة تظهر وتتشكل (من ظروف أداء المقام وهى التى تشتمل على القرائن الحالية )[3] وقديما قالوا " لكل مقام مقال".وإذا كانت الأمثلة السابقة قد وضحت فيها اثر السياق فى تغاير دلالة الكلمة،فسوف أذكر من الأمثلة ما يدل على أن للسياق أثره فى تغاير دلالة الصيغة أيضا، فالسياق هو الذى تستمد منه الصيغة دلالتها ،فقد يجرى التركيب فى سياقين

---

([1])ينظر التحرير والتنوير ج ٢ ص ٤٢١

([2])ينظر مختصر المزنى فى فروع الشافعية للمزنى تحقيق محمد عبد القادر شاهين ص ٢٦١ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٩٩٨.

([3])ينظر أثر النحاة فى البحث البلاغى د عبد القادر حسين ص ١٩٣ دار غريب للطباعة والنشر ط ٢ ١٩٩٨

ويفيض بمعنيين متباينين ومن الأمثلة الحسنة على ذلك ما ورد فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ففى القرآن الكريم قوله تعالى : "**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**"( فصلت ٤٠) وفى الحديث الشريف قوله –صلى الله عليه وسلم– (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم )[١]

فبالرغم من وحدة الصيغة فى الآية الكريمة والحديث الشريف "اعملوا ما شئتم " إلا أنه قد اختلف الغرض البلاغى للأمر فى كل منهما نظرا لاختلاف السياق فى كل منهما ففى الآية كان معنى الأمر التهديد والوعيد والإنذار كما ذكر ذلك المفسرون ففى التحرير والتنوير :(والأمر فى قوله" **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**"مستعمل فى التهديد ) [٢]أما فى الحديث النبوى الشريف فإن الأمر يفيد نهاية الرضا والقبول والتبشير لأهل بدر يقول الدكتور أبو موسى :(وطبيعة الأمر فى قوله تعالى" **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**" هى التى انبثق منها قدر هائل من التهديد ،وكأنه يأمرهم بأن يفعلوا ما يشاءون من أنواع الشرور وألوان المعاصى ليوقع بهم أفانين العذاب وضروب الإيذاء .....أما قوله عليه السلام " لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " ترى فى قوله "اعملوا ما شئتم" دلالة على نهاية الرضا والقبول وكأنه سبحانه لفرط حبه ورضاه عن هذه الكوكبة المباركة يقول لهم افعلوا ما تشاءون إن خيرا وإن شرا فالكل عندنا مقبول منكم ومرضى عنه، وليس معناه أن الله أباح لهم شيئا مما حرمه، كما أن الأمر فى الآية ليس معناه أن الله يأمرهم بالشر )[٣] .

---

(١)ينظر صحيح البخاري كتاب ا حديث رقم ٣٩٨٣.

(٢)ينظر التحرير والتنوير ج ٢٤ ص ٣٠٥

(٣)ينظر دلالات التراكيب د محمد أبو موسى ص ٢٤٨، ٢٤٩

**المبحث الثالث : –أثر السياق فى اللفظ الذى يحتمل المعنى وضده،والمترادف**

**ا– اللفظ الذى يحتمل المعنى وضده :–**

إن للسياق أثره فى الكلمة التى تحتمل المعنى وضده وقد جعل السيوطى –رحمه الله – اللفظ الذى يحتمل المعنى وضده من المشترك الفظى يقول :( هو – الأضداد – نوع من المشترك قال أهل الأصول : مفهوما اللفظ المشترك إما أن يتباينا ، بأن لا يمكن اجتماعهما فى الصدق على شيء واحد ،كالحيض والطهر ،فإنهما مدلولا القرء ،ولا يجوز اجتماعهما لواحد فى زمن واحد ،أو يتواصلا )[١]

والأضداد مصطلح استعمله اللغويون العرب القدامى فى الألفاظ التى يطلق كل منها على معنيين متضادين ،كإطلاق الجلل على الكبير والصغير ، والقرء للطهر والحيض والوراء للخلف والأمام وغير ذلك كثير ، وهذا يدل على بلاغة العربية وحكمة العرب يقول ابو بكر الأنبارى فى مقدمة كتابه الأضداد : ( هذا كتاب ذكر الحروف – الكلمات – التى توقعها العرب على المعانى المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب ، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم ،وعند اتصال مخاطبتهم ،فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبى عن المعنى الذى تحته ودال عليه، وموضح تأويله ،فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطَب أيهما أراد المخاطِب ،وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى .فأجيبوا عن هذا الذى ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة :

أحداهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الحطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ،فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ،لأنهما يتقدمهما ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد ، فمن ذلك قول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جلل ****** والفتى يسعى ويلهه الأمل .

فدل ما تقدم قبل "جلل" وتأخر بعده على أن معناه : كل شيء ما خلا الموت يسير ؛ ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن " الجلل" ها هنا معناه "عظيم" ) [٢]

---

(١)ينظر المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ج ١ ص ٣٨٧

(٢)ينظر :الأضداد ص ١،٢

وبذلك اتضح لنا أن للسياق أدوارا متعددة فى تأدية المعنى وتحديده ،ورفع أى توهم أو لبس ،ومن هذه الأدوار دوره فى توضيح المراد من اللفظ الذى يحتمل المعنى وضده ، وللزيادة فى التوثيق نحال إلى قاعدة التطبيق ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :-

١-: **ما ورد فى لفظ "عسعس"** فهو من الأضداد يقول الفيروز ابادى : (عسعس : أى أقبل وأدبر، وذلك فى مبدأ الليل ومنتهاه )[١]

ويقول الانبارى : ( وعسعس حرف من الأضداد ،يقال :عسعس الليل ، ‘ذا أدبر ،وعسعس ‘ذا أقبل ، ونقل عن الفراء قوله : اجمع المفسرون على أن معنى "عسعس" أدبر ،وحكى عن بعضهم أنه قال عسعس ،دنا من أوله وأظلم )[٢]

فهذا اللفظ يحتمل أن يكون بمعنى الإقبال والإدبار إلا أن السياق هنا يحتم أن يكون بمعنى أقبل يقول ابن كثير : ( وعندي أن المراد بقوله "إذا عسعس " إذا أقبل ،وإن كان يصح استعماله فى الإدبار ، لكن الإقبال ههنا أنسب ،كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق كما قال "**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**" (الليل ١،٢ ) وقال تعالى :"**وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ**" ( الضحى١،٢) وقال تعالى :" **فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا** " ( الأنعام٩٦) ،وغير ذلك من الآيات .

وقال كثير من علماء الأصول :إن لفظة "عسعس" تستعمل فى الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك،فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما – والله أعلم ) [٣]

فقد ذكر ابن كثير أن لفظ"عسعس" تطلق على الإقبال والإدبار ،ورجح الإقبال هنا بسبب السياق ، لمناسبة المقابلة بين الليل والنهار ،فكأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل ،وبالفجر وضيائه إذا أشرق كما قال – رحمه الله – ،ثم ذكر أنه يصح أن يراد المعنيين على قول من يقول من أهل الأصول إن لفظ"عسعس " تستعمل فى الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك .

٢-: ومن الألفاظ التى تحتمل المعنى وضده لفظة "**بين**" فقد ذكر الراغب الأصفهانى : (أن كلمة "بين" موضوعة للخلالة بين الشيئين ووسطهما قال تعالى :" وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا

---

(٣) ينظر بصائر ذوى التمييز ج ٤ ص ٦٥ [١]

(٢)ينظر الاضداد ص ٣٢

(٣)ينظر تفسير القرآن العظيم ج ٨ ص ٣٣٨

زَرْعًا"(الكهف ٣٢)،ويقال :بان كذا :انفصل ،وظهر ما كان منفصلا منه )[١]و"البين "تأتى بمعنى الوصل وكذلك الفراق يقول بن منظور:(البين فى كلام العرب على وجهين يكون البين الفرقة ويكون الوصل وهو من الأضداد )[٢] ففى قوله تعالى :" لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ"(الأنعام ٩٤) (والمعنى :لقد تقطع الاتصال بينكم ، وقرىء بالرفع ، وبينكم فاعل لأنه اسم غير ظرف ، وهو من الأضداد يستعمل للوصل والفراق، أى :لقد تقطع وصلكم ) [٣]

ومن استعمال لفظ :بين" ظرفا قوله تعالى :" لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" (الحجرات١)ومعناه: (أن المكلف لا يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله فيه ) [٤] فجاءت "بين" هنا ظرف ،أما قوله تعالى :" فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا"( الكهف ٦١)فيجوز أن تكون مصدرا ، أى موضع المفترق [٥] حيث جاءت "بينكم " للفرقة والوصف وجاءت اسما وجاءت ظرفا وتعددت معانيها حسب السياق الذى جاءت فيه ،وهى من الأضداد كما ذكر كثير من العلماء .

ومن الكلمات التى تحتمل المعنى وضده لفظة "شرى" يقول الراغب الأصفهانى: (الشراء والبيع يتلازمان ،فالمشترى دافع الثمن ،وآخذ المثمن ، والبائع دافع المثمن ، وآخذ الثمن ،فشريت بمعنى بعت أكثر ، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر )[٦] فمما جاءت بمعنى باع قوله تعالى :" لْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ "(النساء ٧٤)( فيشيرون بمعنى :يبيعون ،لأن شرى مقابل :اشترى ،مثل باع وابتاع وأكرى واكترى ، فالذين يشيرون الحياة الدنيا يبذلونها ويرغبون فى حظ الآخرة )[٧] فالكلمة من نوع الأضداد لأنها حوت معنى البيع والشراء وهما متضادان ، وأما قوله تعالى :" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ"(التوبة ١١١) فيقول ابن عاشور:(والاشتراء: مستعار للوعد بالجزاء عن الجهاد ،كما دل عليه

---

(١ )ينظر:المفردات فى غريب القران للراغب الأصفهانى ص ١٥٦

(٢ )ينظر : لسان العرب مادة بين

(٣ )ينظر: أعراب القرآن وبيانه ج ٣ ص ١٧٤

(٤ )ينظر التحرير والتنوير ج ٢٦ ص ٢١٦

(٥ ) ينظر المفردات فى غريب القرآن ص ١٥٧

(٦ )ينظر: المفردات ص ٤٥٣

(٧ )ينظر : التحرير والتنوير ج ٥ ص ١٢١

قوله "وعدا عليه حقا" بمشابهة الوعد الاشتراء فالاشتراء عبارة عن أنه أعطى شيئا مقابل بذل من الجانب الآخر ، ولما كان شأن الباء أن تدخل على الثمن فى صيغ الاشتراء أدخلت هنا فى " بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ"(التوبة ١١١) بمشابهة ذا الوعد الثمن ) [١]

**بـــ:- أثر السياق فى تحديد دلالة الترادف**

أن للسياق أثرا في توجيه دلالة الترادف وسأوضح ذلك بالأمثلة ولكن نبدأ أولا بتعريف الترادف :

الترادف لـــــغة :يأتي الترادف بمعنى التتابع فقد جاء في لسان العرب: (الردف:الترادف في اللغة: التتابع، تقول ترادف الشيء: أي تبع بعضه بعضا، قال تعالى: "**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** " (الأنفال:٩) معناه : يأتون فرقة بعد فرقة. وقال الفراء: مردفين متتابعين) [٢]

الترادف في عرف القدماء: هو :(دلالة عدة كلمات مختلفة على المعنـــى الواحـــد نحو أسماء الداهية، منها القنطر و ، الدهاليس والدهيم ...وما إلى ذلـــك مـــن أسمائها الكثيرة التي تتصرف جميعها للدلالة على الداهية.)[٣]

وليس هناك اتفاق تام بين العلماء والدارسين لتعريف الترادف فى الاصطلاح ،،وربما ذلك لاختلافهم فى ظاهرة الترادف، فقد اختلف علماء اللغة في وقوع الترادف في اللغة على مذهبين :ذهب فريق من العلماء إلى أن الترادف ثابت في اللغة وواقع فيها، وهناك من يرفض القول بالترادف، وقد كان سيبويه هو أول من أشار إلى هذه الظاهرة ،حين قسم علاقة الألفاظ بالمعاني على ثلاثة أقسام ،ولو أنه لم يسم ظاهرة الترادف بهذا الاسم قال سيبويه: (أعلم أن من كلامهم – العرب- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد،واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ...واختلاف اللفظين والمعنى الثانى :واحد نحو : ذهب وانطلق.)[٤]

ثم اشتهر هذا التقسيم حتى سار على منواله علماء وألفوا على أساسه كتبا ،فهذا الأصمعي والمبرد وأبو عبيدة يجعلون شطرا منه عنوانا لبعض مصنفاتهم ، ككتاب

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ج ١١ ص ٣٧، ٣٨

(٢)نظر لسان العرب مادة ردف

(٣)ينظر : فى علم الدلالة د ابراهيم ضوه ص٩٤

(٤)ينظر الكتاب ج١ ص٢٤.

"ما اختلف لفظه واتفق معناه " للأصمعي، وكتاب "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد " للمبرد وكتاب" الأسماء المختلفة للشيء الواحد " لأبى عبيدة .

وعن مكانة الترادف فى اللغة العربية يقول أبو هلال العسكرى :(ومن مزايا المترادفات أنها تعين على إفراغ المعنى فى قوالب متعددة ،ونظمها فى سلك من البلاغة ،ولا تنكر مزاياها فى النظم والنثر ، فبتعددها يسهل تخير ما طابق المعنى ؛ فيأتى الكلام جزلا بليغا ،وبعد الترادف مظهر ثراء فى اللغة ، فهو حشد لغوى تترادف فيه الألفاظ ،وتتوالى على المعنى الواحد )[١]

والذى يعنينا من هذه الظاهرة اللغوية – الترادف– أن نبين أنه قد وردت فى اللغة العربية مفردات استعملت فى موطن واستعمل غيرها فى موطن آخر شبيه به، ويحس أكثر الناس أن هذه الألفاظ متساوية فى بيان المراد :غير أن لكل لفظة خاصة تميزها عن الفظة التى تقاربها فى بعض المعنى ، أو تشترك معها فى بعض الدلالة ،والقرآن الكريم عربى ، بيد أنه يختلف تماما عن الكلام العربى فى جوانب كثيرة ، ومن أبرزها أنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ،وهذا يقتضى أن لا يختار فيه لفظ إلا لأجل وجود معنى فيه غير موجود فى غيره ، وأن به خاصة فى دلالته على المعنى المراد، وميزة فى إشارته للمقصود لا تكون لمرادفه ،وأن سياق الكلام يقتضى هذا الفظ دون الآخر ، وقد يحدث ان توجد لفظتان يظن انهما مترادفتان اذ يدلان على المعنى نفسه، على حين ان هـــاتين اللفظتين يمكن التمييز بين دلالتيهما بدقة بفعل السياق اللفظي والقرائن التي ترد معها،فتفرد لها معنى معينا دون غيره،ويحدد للفظة دون نظيرتها حيث (يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصـــح لتأديتـــه، ويختار لها للفظ الذي هو اخص به واكشف عنه وأتم له وأحرى بان يكسبه نُبلا ويظهر فيه مزية)[٢]

١ – وللزيادة فى التوثيق نحال إلى قاعدة التطبيق فمن ذلك لفظتا " **انفجرت** " و"**انبجست** " فقد وردتا فى القرآن الكريم فى قصة سيدنا موسى – عليه السلام – ، وكانتا تمثلان فعلا سرديا ذا مضمون حدثي واحد ،وهو استسقاء سيدنا موسى –عليه السلام – لقومه " بنى اسرائيل " فى التيه ، حيث كان يحمل معه حجرا قيل أنه من جبل

(١)ينظر الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى تحقيق محمد إبراهيم سليم ص١٧

(٢)ينظر دلائل الإعجاز ص٣٠و٣١

الطور ،وقيل أنه كان حجرا مربعا له أربع جهات ،تنبع من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى – عليه السلام – أما فى حالة استغنائهم عن الماء ورحيلهم فإن العيون تجف)[١]

(فضرب لهم موسى الحجر فصار فيه اثنتا عشرة عينا من ماء ، لكل سبط من أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر،عين يشربون منها ) [٢]

ففى قصة سيدنا موسى – عليه السلام – واستسقاؤه لقومه جاءت بتعبيرين مختلفين ، تارة بلفظة "انفجرت" وتارة أخرى بلفظة " انبجست" ،ففى سورة البقرة ،قال تعالى: "**وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**"(البقرة ٦٠)أما فى سورة الأعراف فقال تعالى :" **وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ** " (الأعراف ١٦٠)

فالانفجار،في أصل اللغة: هو الانشقاق، وانفجر الماء انفجاراً انفتح،والمتفجر: الموضع الذي يتفجر منه الماء).[٤]

ومن المجاز: انفجر عليهم العدو إذا جاءهم بغتة بكثرة، وانفجرت عليهم الدواهي )[٣]

أما الإنبجاس: فهو:(من البجس :وهو الانشقاق في قِرْبه، أو حجر أو أرض)[٤].

وانبجس الماء من السحاب والعين :انفجر وتبجس :تفجر ، وسحائب بجس وبجسها الله :وذلك من كثرة الودك.)[٥]

ومما سبق يتضح لنا أن معنى "الانفجار و الانبجاس " فى أصل اللغة واحد ،وهو : خروج الماء ، وهذا هو الترادف ؛إلا أنه اختلف فى كيفية تدفق هذا الماء فى التعبيرين السابقين ف ــ"الانفجار يخرج من شيء واسع. و"الإنبجاس" يخرج من شيء ضيق أي أن الإنبجاس يكون أولا و الانفجار ثانيا. ففى الإنبجاس يكون الماء قليلا وفى الانفجار

---

(١)ينظر معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى تحقيق على محمد البيجاوى ج ٣ ص ٩ ، ١٠ ،بتصرف دار الفكر العربى بدون .

(٢)ينظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣)ينظر أساس البلاغة للزمخشرى ص ٣٣٥.

(٤)ينظر اللسان مادة بجس

(٥)ينظر :أساس البلاغة ص١٥

يكون الماء كثيرا يقول النيسابورى : (الانبجاس يعني: الشق الضيق ثم يتفجر ويخرج بسعة كبيرة، والانفجار هو الشق الكبير لذلك لا يتناقضان...أو لعله انبجس أولا ثم انفجر ثانيا ....أو لعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف أخرى فينبجس )[1] ،إذاً، الانفجار هو خروج الماء بكثرة،والانبجاس خروجه بقلة.

فكل لفظ من هذين اللفظين قد جاء فى موضعه وفى مكانه الذى يتطلبه السياق، فلا توجد لفظة أو عبارة تحل محل لفظة قرآنية أو عبارة قرآنية،ولا يمكن أن تأتى عبثاً أو محض مصادفة، بل تأتي في مكانها الذي خصصه الله تعالى لها لتقوم بدورها فى إكمال هذا النسيج البلاغي الرائع ، وإلا فليس بمعجز فالعلماء قاطبة متفقون على أن القرآن معجز،وقدتحدى الله به العالمين من الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله،،ولذلك قال ابن عطية: (ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره،.....فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة،،.....ثم يقول :وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد)[2]

وقد تحدث العلماء عن بلاغة الآيتين (آية البقرة – وآية الأعراف )وأن ألفاظ كل منهما متفق مع سياق الآية ، ففى سورة البقرة ذكرت الآية فى مقام ذكر النعم و تعددها فجاء معها لفظ الانفجار ؛لأنه الأنسب للسياق حيث يدل على الكثرة ، كما أن الاستسقاء كان من موسى – عليه السلام – فناسب إجابته بانفجار الماء ،هذا بخلاف آية الأعراف فقد كان الاستسقاء طلب قوم موسى – عليه السلام –، ومن العلماء الإمام السيوطى الذى كان الانفجار عنده أبلغ من الانبجاس في كثرة الماء، فجاء مناسبا لسياق ذكر النعم

---

([1])ينظر :تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة النيسابورى تحقيق الشيخ زكريا عميرات ج ١ ص ٢٩٨ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٩٦م .

([2])ينظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد ج ١ ص ٥٢ دار الكتب العلمية بيروت ط ١ سنة ٢٠٠١م

للتعبير به في سورة البقرة ، ) [1] وهو ما ذهب إليه الكرماني، من أن:( الانفجار: انصباب الماء بكثرة، والانبجاس: ظهور الماء، فوردتا متناسبتين في سياقهما؛ لأن في "البقرة " **كلُواْ وَاشْرَبُواْ**"( فَذكرَ بلفظ بليغ، وفي "الأعراف""**كلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكمْ**"، وليس فيه" واشربوا " فلم يبالغ فيه)[2]

وذكر الدكتور فاضل السامرائي فضلا عما سبق من الفروق بين الانفجار والانبجاس، أن الانفجار للماء الكثير ،والانبجاس للماء القليل ،و أن سورة البقرة مقام تعداد النعم،هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى أن موسى – عليه السلام– هو الذي استسقى ربه، فناسب إجابته بانفجار الماء، ،ومن ناحية ثالثة أن الله قال لموسى – غليه السلام – : اضرب بعصاك الحجر ولم يوح إليه وحيا، فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الغزير ،بخلاف ما ورد فى سورة الأعراف فجاء بالانبجاس فكان التعبير يناسب موطنه، وقيل: أن الماء أول ما انفجر كان كثيراً ثم قل بعصيانهم، فعبر في مقام المدح بالانفجار وفي حالة الذنبب الانبجاس.

وكذلك ذكر الانفجار فى البقرة والانبجاس فى الأعراف علاوة على ما سبق ، أنه قال فى البقرة " **كلُواْ وَاشْرَبُواْ** " فجمع لهم بين الأكل والشرب ،ولم يرد ذلك فى الأعراف فناسب ذلك أن يبالغ فى ذكر الماء فى البقرة ) [3]

والرأي ــ والله اعلم ــ أن نسق الآية في سورة البقرة، أراد الله سبحانه و تعالى فيه إظهار تمام النعم على بنى إسرائيل دون التدرج فى إعطائها لهم ،حتى لا تكون لديهم حجة على الله ورسوله، فنجاهم قبلها من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، وهو خلاص معْجِز وكبير، ثم تكفل بطعامهم، وكان بألّذه وهو " **المن والسلوى**"، وهو طعام أهل الجنة ، وهذا تمام النعمة عليهم أيضاً. ثم سقاهم بماء يتفجر من العيون، فذكر تمام النعمة من السقي وهي انفجار الماء. ولم يذكر كيف بدأ الماء بالانبثاق ومراحله حتى انتهى إلى الانفجار.

---

([1])ينظر : الإتقان للسيوطى فى النوع الثالث والستون فى الآيات المتشابهات ص ٦٤٣ ومعترك الأقران ج ١ ص ٨٩.

([2])ينظر: أسرار التكرار فى القرآن المسمى البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرمانى تحقيق عبد القادر أحمد عطا ص ٧٤ دار الفضيلة بدون .

([3])ينظر : التعبير القرآنى للدكتور فاضل السامرائى ص٢٢٢ ، ٢٢٣ بتصرف دار عمار ط ٤ سنة ٢٠٠٦ م

فوردت الكلمة مناسبة في معناها لبقية السياق فـــى الـــسورة الكريمـــة بتعـــدد نعَـــم الله – سبحانه وتعالى – على بني إسرائيل، وكيف كان منتهى الكرم والجود يقابله منتهـــى النكران والجحود.

وأيضا قوة الأمر في سورة البقرة في الفعل " اضرب" ووقوعه الحتمي القوي ؛لأته أمر من الله –سبحانه وتعالى – جاء مناسباً لانفجار الماء فيها.

أما في سورة الأعراف، فكان أمر الاستسقاء من الله تعـــالى لموســـى عليـــه الـــسلام بالإيحاء حيث قال " وأوحينا إلى موسى " فورد الأمر مخففا ب "إن " التفسيرية وكأنها تخفف من حِدّة الضرب فى قوله " أن اضرب بعصاك" فنلحظ ليناً ورخـــاوةً وهمـــساً، جاءت منسجمةً مع لفظة " انبجست" التى من صفات حروفها أنها تدل على الهمـــس والرخاوة، والجهر والشدة أيضا.

٢ – وللزيادة فى التمثيل فلننظر برعاية للفارق الدلالي بين لفظتي**(ختم)و(طبع)** فهما يدلان غلى معنى واحد فقد ورد فى لسان العرب ( أن ختم بمعنى طبع وأن الختم على القلب : ألا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع ) كما ذكر ايضا : ( أن الطبع : هو الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه ونقل عن أبى اسحق النحوى أن معنى طبع فى اللغة وختم واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن يدخله شيء )[١]

وبذلك يكون ابن منظور قد أكد على أن طبع وختم معناهما واحد ؛ ولكن إذا نظرنا إلى السياق التى ورد فيه كل منهما على حدة نجد أن هناك فرق بينهما ، إذ أن السياق ( من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم )[٢]وللتحقق من ذلك نتأمـــل الآيتين الآتيتين:

قوله تعالى: "**خَتَم االله على قلوبِهِم وعلى سمعِهِم وعلى أَبصارِهِم غشاوةٌ ولهـــم عـــذاب عظـــيم**"( البقرة ٧)

وقوله: "**أولئك الذين طَبع االلهُ على قلوبهِم وسمعِهِم وأبصارِهم وأولئك هم الغـــافلون**" (النحل ١٠٨)

---

(١)ينظر لسان العرب مادة ختم ومادة طبع .

(٢)ينظر بدائع الفوائد لابن القيم الجوزيه ج ٤ ص ١٠

ما لا يفيده الختم ، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعا وهو الأثر الذى يؤثر فيه فلا يزول عنه ) [١].فإذا تأملنا كل آية على حدة وجدنا أن هناك فرق بين ختم وطبع ، وقد ذكر أبو هلال العسكرى الفرق بينهما فقال:(الفرق بين الطبع والختم :أن الطبع أثر يثبت فى المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ،وقيل أن قيل ان معنى ختم:(شهد عليها بانها لا تقبل الحق،يقول القائل: اراك تختم على كل ما يقول فلان اي تشهد به وتصدقه ..وقيل المعنى في ذلك انه ذمهم بانها كالمختوم عليها لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر )[٢]

وقيل أيضا :(أن الختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة فى خاتم ليمنع ذلك من فتح المحتوم فإذا فتح علم صاحبه أنه فتح لفساد يظهر فى أثر النقش ) [٣]

لو تأملنا الآية الكريمة فى سورة البقرة لوجدنا أنها تشتمل على صورتين فنيتين هما : الصورة القائلة : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ) والصورة القائلة : ( وعلى أبصارهم غشاوة ) ، فاستعار النص القرآني هذه الصفة المادية للشيء وخلعها على القلب والسمع، فجعل للقلب قفلا تسد أمامه أبواب الفهم والإدراك والتعقل ، كما خصص كلاً من القلب والسمع بطابع (الختم) وخصص البصر بطابع (الغشاوة) فما هو السر الفني وراء ذلك؟

السر وراء ذلك هو أن عملية الانسداد تتناسب مع طبيعة هذين الجهازين المعدين لالتقاط الحقائق والأصوات،( القلب والأذن) بحيث إذا سدت أبوابهما لما أمكن للقلب أن يعي، ولا للأذن أن تسمع، وهذا بخلاف جهاز البصر الذي خلع عليها لنص طابع الغشاوة، حيث لا تتناسب هذه الصفة مع جهازي القلب والسمع بقدر ما تتناسب مع جهاز البصر، فنحن أمام رمز يختلف عن الرمز الذي لحظته بالنسبة للقلب والسمع، فقد خلع النص على البصر طابع الغشاوة والغشاوة معناها الغطاء،،بينما خلع على القلب والسمع طابع الغلق والسد ... واستهدف من وراء هذين الرمزين إلى الإنغلاق التام في

---

(١)ينظر الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص ٧٣ ) .

(٢)ينظر مجمع البيان فى تفسير القرآن للإمام الطبرسى ج١ ص ٥٨،٥٩ دار العلوم للطباعة والنشر ط ١سنة ٢٠٠٥ وينظر التبيان فى تفسير القرآن للطوسى ج ١ص٦٣ دار إحياء التراث العربى (بدون)

(٣)ينظر التحرير والتنوير ج١ ص ٢٥٤

ذهنية الكافر،فلا أمل في إصلاحه أبداً مادام قلبه – وهو مركز الهداية– قد ختم عليه،ومادام سمعه – وهو الحاسة التي يمكن لها أن تستمع إلى القول وتفيد منه – قد ختم عليه ومادام البصر – وهو الحاسة التي يمكن أن تفيد من النظر إلى الظواهر الكونية الدالة على وجود الله وإبداعه – قد وضعت الغشاوة عليه .

فإذا نظرنا إلى معنى "ختم "وسياق الآية وارتباطها بما قبلها من الآيات السابقة نجد أن هذه الآية جاءت كالتعليل للآية السابقة وكأن الامر قد انتهى بالنسبة لهؤلاء بدلالة التسوية في سياق الاية السابقة عليها وهي قوله: "إن الذين كَفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لايؤمنون"(البقر ٦) فقد استوى الإنذار عندهم وعدمه ولم ينفذ الإيمان إلى نفوسهم رغم وضوح دلائله ، والسبب فى ذلك هو أن الله ختم على قلوبهم وعلى أسماعهم كما جعل على أبصارهم غشاوة .

*– على حين أننا إذا أمعنا النظر في سورة النحل يكشف لنا عن أن(طبع) أكثر شدة في الدلالة من"ختم"؛وذلك لجملة أمور:–

اولها:–( ان الطبع اثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيد الختم ) [١] فنصل إلى ان الطبع اثر لا يزول بخلاف الختم، وما يعضد هذا انه عدى الطبع إلى الابصار فضلا عن القلب والسمع ولم يعد الختم إلى الابصار بل قطع صلة حدث الختم بـ "الواو" الاستئنافية قبل الابصار فقال: "وعلى أبصارهم غشاوة" ؛لان الختم لايلزم، ثم ان الضرورة المعنوية هنا فى آية البقرة لا تقتضي التعدية للابصار على حين ( ان الطبع مأخوذ من الطبيعة المزامنة للإنسان التي لاتنفك عنه فهو مجبول عليها)[٢]وبما ان مدار الاية في الطبع مرتكز على فكرة "الغفلة" بدلالة نهاية الاية بـ" **واولئك هم الغافلون** " كانت التعدية للجميع ادعى لاستكمال الغفلة وجعلها كأنها من طبيعتهم الدائمة،ويقوى من هذا المعنى التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات،بينما نجد أن المعنى فى آية البقرة يدور على وجوب العذاب لا الغفلة وهذا متأت من ان الكفار ممتنعون عن تقبل الحق لانهم مختومون دونه،فصار لزاما ثبوت العذاب عليهم بدلالة نهاية الاية بقوله " **ولهم عذاب عظيم.**" .

---

([١])ينظر الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص٧٣.

([٢])ينظر لسان العرب مادة طبع

اما الأمر الثانى فمرده إلى السياق السابق واللاحق لآية الطبع في سورة النحل، اذ النـــاظر فيهمـــا بتأن يدرك الفارق بينهما، فسياق الآيات السابقة عليهما تُفصل القول في الكـــافرين والملحـــدين الـــذين يشرحون صدورهم بالكفر علنا وقد آثروا الحياة الدنيا، ويذكر سبحانه صراحةً غضبه علـــيهم فكانـــت دلالة السياق مشحونة بالعذاب والغضب الالهي، ثم يكاد سياق الآيات اللاحقة لهـــا تتمحـــور على فكرة الكفر والعذاب ايضا، والتكذيب للرسل والاعراض عنهم، فكان هذا انسب دلاليا لورود لفظة " طبع" في هذا الموضع دون لفظة"ختم"، فالطبع يعد مرحلة أعلى ؛ لأن به إحكام الغلق إحكاما تاما .

وبهذا نصل إلى ان للسياق أعظم قرينة لمراد المتكلم فهو يوجـــه اللفظـــــة بحـــــسب حاجته منها وعلى وفق ما تحمله اللفظة من دلالة معينة تفارق بها نظيرتهاـــــ التـــــي قـــد يظـــن انهـــا مرادفتها ــ بفعله فالنص القرآني معجز في جميع وجوهه.

**المبحث الرابع :- أثر السياق فى تغاير دلالة الحرف**

إن لكل حرف دلالة لكن عند دخوله فى نص أو جملة فإن دلالته تتغير بتغير السياق الذى جاءت فيه (فلا بيئة لحروف المعانى خارج السياق ، فهى ذات افتقار متأصل إليه )[١]

فحروف المعانى مرتبطة بالسياق كارتباط الرأس بالجسد ،وهى كثيرة فى القرآن الكريم ؛ولذالك أهتم بها المفسرون وبمدى ارتباطها بالسياق ، فقد ذكر السيوطى والزركشى – رحمهما الله – احتياج المفسر لهذا العلم [٢]

يقول الزركشى – رحمه الله – مبينا دور السياق فى تحديد معانى الحروف بعد أن ذكر أن حرف "كيف" للاستفهام عن حال الشىء لا عن ذاته (هذا أصلها فى الوضع ، لكن قد تعرض لها معان تفهم من قرينة الحال ؛ مثل معنى التنبيه والاعتبار وغيرهما)[٣]

ويقول السيوطى – رحمه الله – : (اعلم أن معرفة ذلك – الحروف – من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ،ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها )[٤]

وقد ذكر المرادى فى كتابه الجنى الدانى أن دلالة الحرف تتوقف على السياق الذى ورد فيه يقول : (دلالة الحرف على معناه الإفرادى متوقفة على ذكر متعلقه بخلاف الاسم والفعل ، فإن دلالة كل منهما على معناه الإفرادى غير متوقفة على ذكر متعلق ،ألا ترى أنك إذا قلت الغلام فهم منه التعريف ، ولو قلت "ال" مفردة لم يفهم منه معنى ، فإذا قرن بالاسم أفاد التعريف ،وكذلك باء الجر فإنها لا تدل على الإلصاق ،حتى تضاف إلى الاسم الذى بعدها ، وكذلك القول فى سائر الحروف ) [٥]

كل هذا يؤكد أن الحرف تتغاير دلالته بتغاير السياق والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفى بذكر بعض هذه الحروف على سبيل المثال:

---

(١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسين ص١٢٧ دار الثقافة ١٩٩٤

(٢)ينظر الاتقان ج ٣ ص ١٤٠ والبرهان ج ٤ ص١٧٥

(٣)ينظر البرهان ج ٤ ص ٣٣٠

(٤)ينظر الاتقان ج ٣ ص ١٤٠

(٥)ينظر الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بنن قاسم المرادى ت د فخر الدين قباوه و ا محمد نـــديم فاضل ص ٢٢ دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٩٢م

**أولا :- الدلالات الساقية لـــ "ما" :**

لقد صنف النحويون دلاليا بعض الأدوات بحسب ما يقتضيه السياق ، وشغل هذه الأدوات لأكثر من وظيفة ،وذلك مثل "ما" التى تأخذ عدة وظائف دلالية بحسب السياق اللغوى الذى وردت فيه منها : -

١- "ما" بمعنى الذى (الاسم الموصول): ومثال ذلك قوله تعالى :" **مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**" (النحل ٩٦) فجاءت "ما" فى الآية الكريمة بمعنى الذى فهى اسم موصول ومعنى الآية أن ما عندكم من أعراض الدنيا ومتاعها ينفد والذى عند الله من خزائن رحمته فهو باق لا ينفد .

٢- "ما" بمعنى المصدر وذلك مثل قوله تعالى : " **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رءوفٌ رَحِيمٌ** " ( التوبة ١٢٨) فالله سبحانه وتعالى يخاطب أهل قريش بأنهم قد جاءهم منهم ومثلهم عربى وقريشي شديد عليه وشاق ما عنتم لكونه بعضا منكم ،فهو يخف عليكم سوء العاقبة ) [١]

٣-"ما" بمعني الاستفهام : ومن ذلك قوله تعالى :" **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا** " ( البقرة ٦٩).

وهنا مخاطبة وطلب من الرسول أن يدعو ربه ليستفسر عن لون البقرة فأخبره الله عن لونها ) [٢] فعند إعرابنا لـــ "ما" نقول أنها استفهامية مرفوعة بالابتداء ولونها خبر ، إذن فسياق " ما" هو الاستفهام .

ومنه أيضا قوله تعالى "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى" (طه ١٧).

فالله سبحانه وتعالى قال ذلك لموسى عليه السلام إما على سبيل الإيناس له ،أو قال له ذلك على وجه التقرير ،أى ما هذه التى فى يمينك ؟إذن سياق "ما "هنا استفهام تقرير)[٣]

٤- "ما " الشرطية ومن ذلك قوله تعالى " **ما يفتح الله للناس** " ( فاطر ٢) فـــ "ما" هنا شرطية، أى اسم فيه معنى الشرط، وأصلها اسم موصول ضمن معنى الشرط ،فانقلبت صلته إلى جملة شرطية وانقلبت جملة الخبر جوابا واقترنت بالفاء

---

(١)ينظر الكشاف للزمخشرى ص ٥٨٣

(٢)المرجع السابق ص ص

(٣)ينظر تفسير ابن كثير ج ٩ ص ٢٧٩

لذلك ،فأصل "ما" الشرطية هو الموصولة ،ومحل "ما" الابتداء وجواب الشرط أغنى عن الخبر) [١]

٥- "ما " التعجبية من ذلك قوله تعالى :" قتل الإنسان ما أكفره"(عبس ١٧) فـ "ما" هنا جاءت للتعجب من إفراطه فى الكفران بنعمة الله وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه ) [٢]

٦- "ما التى تفيد التهويل من ذلك قوله تعالى : " **القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة** " (القارعة ١ : ٣ ) فقد خرجت "ما " هنا عن معناها الحقيقى وهو الاستفهام إلى معنى مجازى تتطلبه السياق وهو التهويل والتفخيم من شأن يوم القيامة يقول أبو السعود فى تفسيره : (ولا ريب فى أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة "ما القارعة" أى أى شىء عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله "وما أدراك ما القارعة" تأكيد لهولها وفظاعتها )[٣]

٧- ومن أنواع "ما " المبهمة وتعرب صفة لما قبلها مثل قوله تعالى :" **إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة**"(البقرة٢) فـ"ما" هنا اسمية إبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر إبهاما وشياعا ) [٤]

كل هذه الدلالات ودلالات أخرى لـ "ما" إنما صنفت بحسب ما يقتضيه السياق اللغوى ،فالشكل الإملائي لـ "ما" لا يتغير فى كل هذه السياقات ،وإنما تتغير الدلالة نتيجة للسياق التى وردت فيه.

ثانيا **الدلالات السياقية ل "هل"**: –

١: تكون بمعنى الاستفهام يقول ابن قتيبة : ( هل تكون للاستفهام ،ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألف التى يستفهم بها كقوله تعالى : " **هَلَ لكُم مِنْ مَا مَلَكَت أَيْمَانُكُم مِن شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ** " (الروم ٢٨) ؛ وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ )[٥]

وقد نقل الفيروز آبادى عن بعض المفسرين عدة معان لـ"هل " يقول :(قال بعض المفسرين :"هل" ترد فى التنزيل على سبعة أوجه :

---

(١)ينظر التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٥٢

(٢)ينظر الكشاف للزمخشرى ص ١١٨٠ ، و تفسير أبى السعود ج ٩ ص ١١٠

(٣)ينظر تفسير أبى السعود ج ٩ ص ١٩٢

(٤)ينظر المرجع السابق ج ١ ص ٧٢

(٥)ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ص ٥٣٨ بدون

**الأول : – بمعنى قد** وهو كل موضع يكون بعده" أتى" كما فى قوله "**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**" (الغاشية ١)

ف"هل" هنا بمعنى "قد"ويقصد بالاستفهام هنا تشويق السامع إلى الخبر ،وقد ذكر الطاهر بن عاشور : (أن "هل" فى الاستفهام مثل "قد" فى الإخبار ، والاستفهام معها حاصل بتقدير همزة استفهام ، فالمستفهم بها يستفهم عن تحقيق الأمر ) [١]

**الثانى :– بمعنى ما النافية** ، وهذا فى كل موضع يتلوه "إلا" ،نحو قوله تعالى : " **فَهَل يَنْظُرُون إِلَّا السَّاعَةَ** " (الزخرف ٦٦، محمد ١٨).

**الثالث :– بمعنى لم** : وهذا فى كل محل بعده "لا" ،نحو : هلا فعلت كذا ،وهلا قلت كذا.

**الرابع: – بمعنى النفى** نحو قوله تعالى :" **فَهَل لنا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**" ( الأعراف ٥٣) .

**الخامس :– لتقرير القسم** نحو قوله تعالى : " "**هَلْ فِي ذَلِك قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ** ( الفجر٥).

( فالمعنى : هل فى ذلك تحقيق لما أقسم عليه للسامع الموصوف بأنه صاحب حجر ، والحجر : العقل لأنه يحجر صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغى )[٢]

**السادس : – بمعنى الأمر** إذا اقترن بفعل يدل على معنى الأمر نحو قوله تعالى : "**فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ**"( المائدة ٩١ ) ،أى انتهوا، وقوله :**فَهَل أَنْتُم مُسْلِمُونَ** " "(الأنبياء ١٠٨ ) أى أسلموا ) [٣].

(ودلالتها على الأمر من باب الإطلاق والتقييد على سبيل المجاز المرسل ،لأن الاستفهام طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم ،فاستعمل فى مطلق الطلب ،ثم استعمل فى الطلب على سبيل الاستعلاء وهو الأمر ) [٤]

والموضع السابع الذى ذكره هو الاستفهام وقد أشرت إليه سابقا .

وهكذا كل هذه الدلالات وغيرها لـــ "هل" فالأداة لم يتغير رسمها وإنما تغير معناها بتغيير سياق الكلام فكان لها فى كل سياق معنى مختلف عن الآخر .

---

(١)ينظر التحرير والتنوير ج٣٠ ص٧٤

(٢)ينظر التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣١٦،

(٣)ينظربصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ج ٥ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧. بتصرف

(٤)ينظر بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدى ج ٢ ص ٣٩ بالهامش مكتبة الآداب سنة ١٩٩١م .

**ثالثا :- الدلالات السياقية ل "من"**

وهي من الأدوات التي تشغل أكثر من وظيفة دلالية بحسب السياق الذي ترد فيه لتمثيل نذكر:-

١:-أن تكون للتبعيض وعلامتها أن السياق يستقيم إذا وضعنا كلمة" بعض" بدلا منها، فالتبعيض هنا مستفاد من السياق اللغوي لا من ذات الحرف قال سيبويه :(وتكون للتبعيض تقول هذا من ثوب ، وهذا منهم كأنك قلت :بعضه)[١] كقوله تعالى :"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ"(البقرة ٨) أى بعض الناس .

٢:- أن تفيد معنى المجاوزة :أى بمعنى "عن"يقول سيبويه : ( وقد تقع "من" موقعها- أى عن- أيضا تقول :أطعمه من جوع ،كساه من عرى ،وسقاه من العيمة) [٢] يريد عن جوع وعن عرى وعن العيمة . ومن ذلك قول امرىء القيس :[٣]

فأضحى يسح الماء من كل فيقة ******* يحوذ الضباب فى صفاصف بيض

فمعنى البيت يفرض أن تكون "من" بمعنى "عن" ، والتقدير " فأضحى يسح الماء عن كل فيقة) والذى يسوغ المعنى بـ "من" مكان "عن " أنه يتابع السحاب الذى شبهه بالضرع الذى يجمع الحليب ، فهو لا ينتظر تجميع الماء أو الوصول حد الامتلاء ، بل أراد نزول ما فيها من ماء قبل أن تكتمل الفيقة ، مثل الحالب الذى لا ينتظر امتلاء الضرع ، وفى الأصل كانت "عن" التى تفيد سح الماء بعد الفيقة الأولى وقبيل أن يحين وقت الثانية ، أى منع التقاء الفيقتين ، ولكن "من" تكون أدق فى السياق للوصول للمعنى المراد وهو الحرص على إنزال المطر والتعجيل فيه ، وكأنه بهذا الحرف ينزله قبيل انتهاء وقت الأولى للسرعة وليس قبيل دخول الثانية .

كل هذه الدلالات وأخرى تحددت دلالاتها من خلال السياق الذي وردت فيه

وفى نهاية البحث اتذكر قول القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى لما قال : (إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه ؛إلا قال فى غده :لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل، هذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر )

---

(١ )ينظر الكتاب ج٤ ص ٢٣٥

(٢ ) المرجع السابق ج٤ ص ٢٢٧

(٣ ) ينظر ديوان امرؤ القيس ص ٤٦٢

## الخاتمة

الحمد لله الخالق من العدم ،الواهب الإنسان صنوف النعم ، المستحق الشكر فى البدء والمختتم ، والصلاة والسلام على سيد الخلق المرسل إلى أشرف الأمم ،وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين أما بعد ...

فقد انتهيت بحمد الله وتوفيقه من إعداد هذا البحث ( أثر السياق فى تغاير دلالة الكلمة ) ،وهو بحث لا أدعى فيه الكمال ،فالكمال لله وحده ، ولكنى أذكر أننى اجتهدت وعانيت وصابرت ، والله من وراء القصد ، وفى ضوء هذه الدراسة أستطيع أن أرصد النتائج الآتية : -

١-أن علماء العربية القدماء من لغويين و،بلاغيين و،أصوليين قد درسوا السياق دراسة مستفيضة وبينوا أثره في النظم و،تحديد دلالات الكلمات:

٢-أظهر البحث اعتبار النبى- صلى الله عليه وسلم - للسياق وكذلك اعتبار الصحابة رضى الله عنهم أيضا للسياق .

٣-يساعد السياق في تحديد معنى اللفظ الوارد فيه،وهو بالتالي يوضح معنى الكلمة،وبيان حسنها أو قبحها.

٤-إن المعجم يعطى معان عامة ومتعددة للمفردة، ويعتريها الاحتمال بينما إذا نظر إليها فى ضوء سياقها؛ فإنه حينئذ تتحد المعالم لهذه المفردة، ويتضح المراد منها، ويقطع بإرادة أحد معانيها المحتملة فى هذا الموضوع، وينتفي تعدد المعنى وتعميمه، وهنا لابد أن ينظر فى سياق الآية سباقها ولحاقها من الآيات ،دون تجاوز ذلك، فإن لكل كلمة فى القرآن الكريم معنى فى ضوء سياقها قد لايصح هذا المعني لسياق آخر، ومن خلال السياق نعرف مدى بلاغة استخدام هذا اللفظ بهذا المعنى فى ذلك الموضع.

٥-إن ألفاظ القرآن الكريم ليست ذات دلالة واحدة لا تخرج عنها أينما وردت ، بل إن العديد من تلك الألفاظ تحمل دلالات عدة ومختلفة ،يحددها السياق القرآنى الذى وردت فيه ، ومن هنا تظهر لنا أهمية فهم اللفظ القرآنى فى ضوء سياقه الذى ورد فيه ،وفى إطار متقدمه ومتأخره ، ولا ينبغى أن يفهم اللفظ القرآنى مقطوعا عن سياقه ومبتورا عن متقدمه ومتأخره ،ففى ذلك ما فيه من الإخلال فى الفهم ،والبعد عن الصواب .

٦-اتضح لنا من خلال البحث أن للسياق أثره فى تحديد المعنى المراد من اللفظ الذى يحتمل المعنى وضده .

٧-إنّ السياق لا يقتصر على دلالة الكلمة المفردة الواحدة بل يجاوزها إلى الصيغة وتراكيب الكلام، وما يتصل به من عناصر الحال، والزمان والمكان والمتكلم والمخاطب.

٨-ان للسياق اللفظي مقتضى وحاكمية على الدلالة فهو يوجه اللفظة بحسب حاجته منها وعلى وفق ما تحمله اللفظة من دلالة معينة تفارق بها نظيرتها التي قد يظن انها مرادفتها ــ فالنص القرآني معجز في جميع وجوهه.

٩-إن لكل حرف دلالة لكن عند دخوله فى نص أو جملة فإن دلالته تتغيير بتغير السياق الذى جاءت فيه فلا بيئة لحروف المعانى خارج السياق، فهى ذات افتقار متأصل إليه .

## فهرس المصادر والمراجع


- **أولا : – القرآن الكريم :–**
- ١–الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى تحقيق مركز الدراسات القرآنية مطبعة الأمانة العامة للشئون العلمية .
- أثر النحاة فى البحث البلاغى للدكتور عبد القادر حسين دارغريب للطباعة والنشر ط ٢ ١٩٩٨ '
- ٣–إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسير أبى السعود دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان (دت )
- أسرار البلاغة فى علم البيان – عبد القاهر الجرجانى – علق عليه محمود شاكر – مطبعة المدنى ط٣ ١٩٩٢م
- أسرار التكرار فى القرآن المسمى البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرمانى تحقيق عبدالقادر أحمد عطا دار الفضيلة بدون
- أساس البلاغة للزمخشرى تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٩٨م
- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الشنقيطى – عالم الكتب – بيروت (د–ت).
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن – للعكبرى – دار الكتب العلمية – بيروت .
- البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى تحقيق د عبدالستار أبو غدة والشيخ عبدالقادر عبدالله العانى .دار الصفوة للطباعة والنشروالتوزيع (بدون)
- ١٠–بدائع الفوائد ابن القيم الجوزيه تحقيق على بن محمد العمران دارعالم الفوائد للنشر والتوزيع (بدون)
- البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم مكتبة دار التراث الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٤م
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى تحقيق الاستاذ محمد على النجار القاهرة ط٣ ١٩٩٦م
- بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدى
- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية الدكتور محمد حسين أبو موسى دار الفكر العربى "بدون
- البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر(بدون)
- التبيان فى تفسير القرآن للطوسى دار إحياء التراث العربى (بدون )

- التحرير والتنوير للطاهربن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤
- التعبير القرآن للدكتور فاضل السامرائى ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ بتصرف دار عمار ط ٤ سنة ٢٠٠٦ م
- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار للإمام الشيخ محمدعبده تحقيق السيد محمد رشيد رضا طبعة دار المنار بالقاهرة ط ٢ ١٩٤٧م
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى تحقيق د عبدالله عبدالمحسن التركى ط ١ سنة ٢٠٠٣م
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة النيسابورى تحقيق الشيخ زكريا عميرات ٨ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٩٦م .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير – دار المعرفة – بيروت ١٩٨٣م
- التفسير الكبير أو مفاتح الغيب للرازى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان ط ٢ ١٩٩٧م
- جامع البيان عن تأويل آى القرآن الطبرى تحقيق د / عبد الله عبد المحسن التركى مطبعة مصطفى الحلبى بمصر ط١ ٢٠٠م
- الجامع الكبير للإمام الترمذى تحقيق بشار عواد معروف دار العرب الإسلامى ط١ ١٩٩٦م.
- الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بنن قاسم المرادى ت د فخر الدين قباوه و ا محمد نديم فاضل دار الكتب العلمية ط١ سنة ١٩٩٢م
- حاشية العطار على جمع الجوامع للعلامة الشيخ حسن العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع للإمام ابن السبكى دار الكتب العلمية بيروت (بدون)
- دروس فى الألسينية العامة ل فردينا ن دى سوسير تعريب محمد الشاوش –و محمد عجينة الدار العربية للكتاب ١٩٨٥م
- دلائل الإعجاز –عبد القاهر الجرجانى – علق عليه محمود شاكر مطبعة المدنى القاهرة ط٣ ١٩٩٢ .
- دلالات التراكيب د محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – القاهرة – ط٢ ١٩٨٧م .
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان، ترجمة الدكتور كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٨م.
- روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى – للألوسى البغدادى – طبعه وصححه على عبد البارى عطية – دار الكتب العلمية بيروت لبنان – ١٩٩٤م .
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى .
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ٣ سنة ٢٠٠م

- صحيح البخارى –لابن إسماعيل البخارى – تحقيق محمد عبد القادر عطا دار التقوى ط١ ٢٠٠١م .
- صفوة التفاسير – محمد على الصابونى – دار الرشيد – سوريا حلب ط ٢ .
- الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى – تحقيق على محمد البيجاوى – محمد أبو الفضل إبراهيم –عيسى الحلبى –ط ١– ١٩٥٢م .
- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص –بهاء الدين السبكى – دار السرور بيروت لبنان .
- علم البيان د عبد الفتاح لاشين دار المعارف ط ٢ ١٩٨٥م .
- علم الدلالة النظرية والتطبيقية د فوزى عيسى و رنيا فوزى عيسى دار المعرفة الجامعية الأسكندرية ط١ ٢٠٠٨م .
- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية – تأصيلية – نقدية ، فايز الداية دمشق دار الفكر المعاصر ط٢ ١٩٩٦م
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار الفكر العربي ، القاهرة٢٠٠
- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيروانى تحقيق د انبوى شعلان مطبعة الخانجى بمصر ط١ ٢٠٠م .
- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – مكتبة الرياض الحديثة.
- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى تحقيق محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع (بدون)
- فن البلاغة – د عبد القادر حسين – دار المنار بالقاهرة ط٢ ١٩٨٤م.
- الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجى بالقاهرة ط٣ ١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى – مكتبة الحلبى – القاهرة .
- لسان العرب لأبى الفضل جمال الدين ابن منظور – دار المعارف .
- اللسان العربى وقضايا معاصرة عمار السامى دار المعارف ٢٠٠٠م .
- اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين د نادية رمضان النجار .
- اللغة لـــ جوزيف فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى محمد القصاص تقديم فاطمة خليل الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق ٢٠١٤
- ما تفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد تحقيق الدكتور أحمد محمد سليمان مطبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ط١ سنة ١٩٨٨م
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ١٩٩٥م .

- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد طبع بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة ٢٠٠٠م .
- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد دار الكتب العلمية بيروت ط١سنة ٢٠٠١م
- مختصر المزنى فى فر الشافعية للمزنى تحقيق محمد عبد القادر شاهين دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٩٩٨م .
- المستصفى فى علم الأصول للإمام الغزالى دار البكتب العلمية – بيروت – ط٣ ١٩٨٢م.
- معترك الأقران فى إعجاز القرآن للإمام جلال الدين السيوطى تحقيق محمد على البجاوى دار الفكر العربى .
- المعجم الوسيط أخرجه : إبراهيم مصطفى ،وأحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار أشرف على طبعه عبد السلام هارون .
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهانى
- المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع للسلجماسى تحقيق الغازى مكتبة دار المعارف الرباط ط١ سنة ١٩٨٠م.
- الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى لأبى القاسم الحسن ابن بشر الآمدى تحقيق السيد أحمد صقر .
- النبأ العظيم – عبد الله دراز – دار القلم للنشر والتوزيع – ط٧ ١٩٧٣ م .
- النكت فى إعجاز القرآن للرمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القران الكريم تحقيق دمحمد زغلول سلام ،و الاستاذ محمد خلف الله دار المعارف بالقاهرة ط٢
- الوجوه والنظائر فى القران الكريم للدماغانى تحقيق عبد العزيز سيد الأهل دار العلم للملايين ط٤ ١٩٨٣.
- الإيضاح للقزوينى تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ج ١ص ٥٢ار الجيل بيروت ط ٣د ت)